سلسلة تراث الحضارة
(1)

الدور الحضاري
في
جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي

الدكتور **بلقاسم رحماني**
أستاذ التاريخ بجامعة قسنطينة
الجزائر

الأستاذ **حرفوش مدني**
باحث ومنتسب إتحاد المؤرخين العرب
القاهرة

مراجعة
الأستاذ الدكتور **سيد أحمد علي الناصري**
رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

1997

الناشر
مكتبة / زهراء الشرق
ت / ٣٦٢٩١٩٢

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

سلسلة تراث الحضارة
(١)

الدور المصرى
فى
جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقى

الدكتور بلقاسم رحمانى
أستـاذ التاريـخ بجامعة قسنطينة
الجزائـر

الأستاذ حرفوش مدنى
باحث وعضو إتحاد المؤرخين العرب
القـاهـــرة

مراجعـــة
الأستاذ الدكتور سيد أحمد على الناصرى
رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب
- جامعـة القاهـرة -

١٩٩٧
مكتبة زهراء الشرق
ت: ٣٩٢٩١٩٢

الإهداء

إلى الوالدين الصابرين طلباً للرضاء وخفضاً لجناح الذل من الرحمة.

إلى كل حملة مشاعل الثقافة والحضارة من أجل مستقبل تسترد فيه كرامة الإنسان.

إلى كل مدافع عن فكرة بيقين وحماس ومنهجية وشاهر لسيف العلم في وجه الجهل والتخلف.

إلى الأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور سيد أحمد علي الناصري والأستاذ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، أطال الله عمرهما وجعلهما ذخرا للعلم والباحثين..

... نقدم هذا الكتاب ...

المؤلفان

مُقدّمة

يعد البحث في التاريخ السياسي والإجتماعي والإقتصادي العربي الإفريقي القديم، ودراسة الجذور الأولى لحضارة المنطقتين من القضايا التي لا زالت تشغل أهتمام الكثير من المؤرخين والمثقفين في افريقيا والوطن العربي، الذين يريدون التعمق في معرفة ماضيهم التاريخي ومنبتهم العرقي، وكذا العلاقة بين المنطقتين منذ أقدم العصور، ومدى قوة علاقة الشعوب العربية الإفريقية عبر التاريخ .

والواقع أن إشكالية العلاقات العربية الإفريقية تزايدت أهميتها أكثر سياسيا، وبشكل واضح منذ استقلال دول المنطقة، في حين ظلت الكتابات التاريخية جامدة لمعرفة أغوار هذه العلاقات في القديم. وهو ما فتح الباب لمزايدات عديدة وكتابات مغرضة من قبل مؤرخي المدارس الإستعمارية .

ومن هنا نرى أنه دين على الباحثين في الجامعات العربية والإفريقية وفي مراكز الأبحاث والدراسات، البحث في التراث الحضاري ومخلفاته بمختلف المناطق، خاصة المناطق الحدودية ذات التماس بين الأقاليم العربية والإفريقية، وإيجاد صلة الربط بين أقطار المنطقتين ، وبذلك يتم سد نقص كبير في المكتبة التاريخية العربية الإفريقية.

ولقد ثبت بالبحث العلمي وجود صلات تاريخية بين المنطقتين منذ أقدم العصور، رغم ذلك ظل الإنتاج العلمي لتاريخ هذه العلاقات محدود للغاية،

وثبت أيضا بما لا يدع مجالا للشك مدى أهمية الدور التاريخى الذى قام به إنسان المنطقتين منذ عصور موغلة في القدم وحتى بداية العصر التاريخى .

والملاحظ أن هناك مادة هامة تلفت نظر المؤرخ فى التاريخ القديم فيما يخص الإشكالية المطروحة، وتؤكد على مشاركة الشعوب وتعاونها فى تطوير حياتها المادية والفكرية تطويرا ملموسا، مما جعلها تنتقل إلى المراحل الحضارية التالية، بحيث تؤكد دراسات عديدة أن هذه المنطقة كانت منطلقا وملتقى للعناصر السامية والحامية، التى أنتجت حضارة تأثرت بمقومات البيئة المحلية وبالمراكز الحضارية الأخرى المعاصرة لها أنذاك، ووضح هذا الإتصال أكثر بصفة خاصة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وإفريقيا الشرقية .

وفى كل هذا الخضم، نحاول أن نتناول نقطة نرى أنها جديرة بالاهتمام، هى دور مصر فى العلاقات اليمنية الحبشية . فمصر كانت لها ظلال وتأثيرات على كل المنطقة المطلة على ضفتى البحر الأحمر سواء اكان ذلك بتأثيرها الحضارى أو بدورها السياسى و العسكرى، وسواء أثناء حكم الأسرات الفرعونية أو بعد مجىء قوى أجنبية تحكمت فى مصر.

وعلى هذا الأساس لا يمكن فى اعتقادنا أن نلغى الدور المصرى فى هذه العلاقات .... وقد تناولنا هذا الموضوع فى قسمين رئيسيين كالتالى :

القسم الأول : تطرقنا فيه إلى علاقة مصر بشرق إفريقيا وخصوصا الحبشة، وحاولنا أن نوضح فيه سعى المصريين تارة للسيطرة على المنطقة عسكريا، وأخرى بمحاولة استكشاف أغوار المنطقة بحملات

منظمة للوقوف على مدى أهمية موارد المنطقة و استغلالها، وتارة محاولة جعلها تابعة لمصر بأى شكل كان .

القسم الثانى : وتناولنا فيه علاقات مصر باليمن القديم، محاولين إبراز نظرة حكام مصر لقيمة اليمن الاقتصادية ومحاولتهم خلق علاقات معها. وفى مناسبات أخرى محاولة مصر السيطرة على اليمن وضرب تجارتها والتدخل فى شؤونها الداخيلة.

وتم استخلاص من خلال هذين القسمين أن دور مصر تميز بمحاولة حكامها فرض نوع من السيطرة والتبعية على منطقتى الحبشة واليمن. ومما لاشك فيه أن مصر بلد الحضارة والتاريخ قد كانت ولازالت همزة وصل بين جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقى .

ولايسعنا ختاما إلا أن نتقدم بتحياتنا الخالصة إلى الأستاذ الدكتور سيد أحمد على الناصرى رئيس قسم التاريخ بكلية الأداب - جامعة القاهرة - وهذا لنصائحة وتوجيهاته القيمة .

قال الله تعالى :

" يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير" .

صدق الله العظيم

د . بلقاسم رحمانى .
أ . حرفوش مدنى .

القاهرة : ٨ يناير ١٩٩٧ .

علاقة مصر بشرق إفريقيا

(الحبشة)

تمهيد

تعد دراسة الصلات العرقية واللغوية والحضارية القديمة بين سكان المنطقة - موضع الدراسة - أساسية لأيضاح مدى عمق الترابط العرقي والتواصل الحضاري. فمثلا سكان سواحل إفريقيا الشرقية وصلتهم بشمال القارة ووسطها، بل إنه إنطلاقا من البحر المتوسط شمالا نحو سيناء، وعلى طول البحر حتى الجنوب وجزر المحيط الهندى والأطلسى، كانت نقاط كثيرة للتلاقي والتماس، سمحت بالإستقرار والتفاعل الحضارى بين مختلف الجماعات البشرية المتواجدة بالقارة .

ويظهر أن مصر كشعب وحضارة كان لها الأثر الكبير في توجه إفريقيا الحضارى، حيث تعد مصر منطقة حضارية هامة إضافة إلى كونها معبرا هاما للعنصر العربى نحو إفريقيا، فالعلاقات المصرية الإفريقية متداخلة من حيث العنصر البشرى والحضارى (هجرات ، تجارة ، ثقافة ، معتقدات ....) وحتى العمق الإستراتيجي الجغرافي الذى يحكم ويحدد العلاقات المصرية الإفريقية وحتى الإفريقية العربية ، وبإعتبار مصر نقطة وصل وإتصال بين مختلف العناصر البشرية المتواجدة بالمنطقة، أو التى وفدت عليها فى مناسبات عديدة، فلقد إنصهرت هذه العناصر فى بوتقة الحضارة المصرية، وهنا يلاحظ أن بعض الدارسين حاولوا تحنيط الدور المصرى بإعتبارها بلدا معزولا جغرافيا وبالتالى

حضاريـا، ولم يكـن لديهـا أى بعـد عـالمى أو إفريقـى، خاصـة البـاحثين الإستعماريين ومدارسهم والتى ركزت على تكريس فكـرة أن حضـارة مصـر محلية ، وأنها محاصرة بالصحراء والبحر [1]، فهى شبه واحه، فلقد عاش حكامها يحاربون الغزاة والدخلاء من كل جهة، وبالتالى لم تكن لمصر جدلية عالمية خارجية، ومن هنا حذفوا دور مصر فى العلاقات العربية الإفريقيـة، وصلتهـا بالمنطقة.

ومن هنا يمكننا أن نتسائل إلى أى مدى وصل الدور المصرى فـى خدمـة التقارب الحضارى والبشرى المصرى الإفريقيى العربى؟ للإجابـة علـى هـذا السؤال يستوجب تتبع هذه الصلات، التى يرى عدد من المؤرخين أنها تعـود إلى فترات قديمة جدا، حيث مهدوا الأرض الإفريقية بحركـات كشـوفاتهم البحرية والبرية لسـواحل شرق إفريقيا وحتى داخل القارة، ويؤكـد عـدد مـن المهتمين بالدراسات الأثرية والمـاقبل تاريخيـة، أن العلاقـات المصرية بالشـرق الإفريقيـى قديمـة جـدا، ومتداخلـة ومتشـابكة حضاريـا، وهنـا يـرى بـازيل دافيدسـون[2] أن العلاقـة تعـود إلى عصـور مـا قبـل تاريخيـة، حيـث أن تحليلا لحوالى ٨٠٠ جمجمة تقريبا لعصور ما قبل الأسرات فى مصر بـواد النيـل الأعلى من حوالى ٣٠٠٠ سنه ق م تبين أن ثلث السكان على الأقل كـانوا مـن الزنوج أو من سلالة الزنوج الذين نعرفهم، وهـذا يؤيـد الدراسة اللغوية بعض الشيء وهو أن أسلاف إفريقيى اليوم كانوا عنصـرا هاما وربمـا كـان سـائدا فـى السكان الذين رعوا الحضارة المصرية القديمـة، حيـث يعد أقـدم الزنـوج فـى

---

(١) سير ألن جاردنر ، " مصر الفراعنة " ، ترجمة ميخائيل إبراهيم وعبد المنعم أبو بكر.

(٢) بازيل دافيدسون، " إفريقيا القديمة تكتشف من جديد ". ترجمة نبيل بدر . وسعد زغلول .

العصر الحجرى فى شمال السودان هم الذين وضعوا أساسا لكثير من حضارة النيل، فكانوا يصنعون الأنية حتى قبل أن تصنع فى جريكو (أريحا) .

إفريقيا الشرقية أرضا وطبيعة

يذهب أغلب المؤرخون إلى أن إسم إثيوبيا (AITHIOPS . AITHIOPS) إستعمل من قبل الإغريق والرومان، وقصدوا به المنطقة الواقعة جنوب شرق مصر. كذلك إستعملوا فى تقسيمهم الجغرافى كلمة (ليبيا) للمنطقة الواقعة غرب مصر، وهنا يلاحظ الدكتور عبدالله الشيبة[1] أن هذا التقسيم إستند إلى معايير سلالية أكثر منها جغرافية، حيث أن كلمة (إثيوبيا) تعنى فى الإغريقية أصلاً (أصحاب الوجوه المحترقة) و (أصحاب العيون المحترقة اللامعة) ، ولقد تأكد ذلك لدى الباحثين بما وجد عند هوميروس، حيث ذكر الكلمة مرتين فى الإلياذة وثلاث مرات فى الأوديسة كبلاد بعيدة: (غير أن بوسيدون إنطلق إلى الإثيوبيون اللذين يقطنون بمنأى عن البشر ...) كما جاء فى الأوديسية[٢].
وفى العصر الرومانى إستعمل الإسم وأطلق على المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، بما فيها المناطق الغربية لوادى النيل والساحل الغربى من البحر الأحمر.

ويذهب عدد من الباحثين منهم د. عبدالله الشيبه إلى أن هناك خلط بين الهند وإثيوبيا، حيث كان من المعتاد أن يقول الناس الهند الغربية، أو الهند

---

(١) عبد الله حسن الشيبه، " اليمن القديم وشرق إفريقيا ".

(٢) COUBLEAUX (J . B)." Histoire Politique et Religieuse d ' Abyssinic "

الشرقية، أو إثيوبيا الغربية وإثيوبيا الشرقية، ويورد نفس الباحث أنه فى القرن الثانى يذكر أحد الملوك لأول مرة فى نقش النصب التذكارى لتدو ليس أنه أخضع (.. كل الشعوب المتاخمة لبلدى شرقا حتى بلد البخور، وغرباً حتى بلد الإثيوبيين ... والساسو .....) .

ويفهم من النصب أن الإسم لم يقصد بـه سكان الحبشة بما فيها مرتفعات (تجرى)، وإما قصد به الشعوب التى كانت تقطن غرب وجنوب هذه المنطقة، وفى القرن الرابع الميلادى إستعمل الملك الأكسومى (عيزانا) لأول مرة ألقابه ملك الإثيوبيين فى نقشه المكتوب باللغة الإغريقية .

ويذهب عدد من اللغويين ، إلى أنه من الصعوبة تحديد الزمن الذى بدأ فيه إستعمال هذه الكلمة فى اللغة (الجعزية) يقصد بها إثيوبيا الحالية . ورغم ذلك فإن عددا من الباحثين حاولوا تفسير ذلك ، منهم د . عبد الله الشيبه، حيث ذهب إلى أنه يمكن القول أن إعتناق الملك الأكسومى للديانة المسيحية فى منتصف القرن الرابع الميلادى وإكتشاف الأحباش لكلمة إثيوبيا فى الكتاب المقدس فى ترجمته الإغريقية (SEPTUA . GINTA)* الذى ترجمت فى مواضع منه عبارة (أرض كوش وأنهار كوش وملك كوش) بأرض إثيوبيا، وملك إثيوبيا، ومن هنا فإن هذه الترجمة التى إستند إليها الأحباش عمقت كثيرا إعتقادهم بأنهم المقصودون مما زاد من تحمسهم بها، رغم ذلك فإن كلمة (إثيوبيا) لا تصلح أن تكون إسما يطلق على تلك المناطق فى مرحلة التاريخ القديم حيث أن مدلولها واسع وغير واضح بشكل دقيق، لكن

---

* - وهى الترجمة القديمة اليونانية للعهد القديم والتى تمت بين ٢٠ ق - ١٣٠ ق م لأجل يهود العالم الإغريقيى واستعملت من طرف الكنيسة المسيحية القديمة فيما بعد.

إسم الحبشة وبإجماع أغلب الباحثين، أنها إسم لإحدى القبائل التى هاجرت من جنوب جزيرة العرب فيما قبل الميلاد عبر البحر الأحمر إلى الحبشة، مؤسسة هناك بعد مملكة. ويوضح عبدالله الشيبه أن كلمة (ح ب ش ت) وردت مرة واحدة فقط فى نقش أكسومى ب (٧/٢ : DAE٦/١)، وتقابلها فى النص الإغريقى للنقش نفسه (DAE٤/٢-٣) كلمة إثيوبيا .

ولقد أوضح عدد من اللغويين على أن إسم (الحبشة) يعنى الخليط من القوم، وتحبش القوم تجمعوا والحباشة مصدر والجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة، وهم أيا كانوا لأنهم إذا تجمعوا إسودوا، وهم جنس من السودان، والحبشة بلد الحبشان[1] أما الجغرافيون فإنهم يذكرون الإسم فقط دون البحث عن أصله، وعلى هذا الأساس يظهر وأن الحبشة تعنى بلاد الشعوب المختلطة .

ويذكر الدكتور عبد الله الشيبه وعدد من الباحثين، أنه اليوم باليمن يوجد عدد من المناطق تحمل جذر (الحبشة) وهى : جبل حبيشى ويقع غرب مدينة تعز الحالية، ويبعد عنها بحوالى ٢٠ كلم، والمحابشة وتقع شمال غرب صنعاء وتبعد بحوالى ١٥٠ كلم، وحبش وهى ناحية فى محافظة (إ ب) . ومن هنا يظهر لنا جليا وأن لفظ الحبشة يستحسن إستعماله فى فترة التاريخ القديم، لتدل بشكل أدق على معناها الجغرافى والبشرى، وبالتالى فالمقصود بإثيوبيا فى المصادر الكلاسيكية هو بلاد النوبة وشمال السودان، وليس الحبشة التى إتخذت هذا الإسم القديم لها فى العصر الحديث، ولذلك يقع الكثير من

---

(١) زكرياء محمد بن محمود القزوينى، " أثار البلاد وأخبار العباد ".

الباحثين في هذا اللبس ومن هنا فموضوع البحث يكاد يشمل كل الشرق الإفريقي ، حيث تكون ممثلة له.

إن الدراس لبلاد الحبشة من الناحية الطبيعية والتاريخية، خلال فترة التاريخ القديم، يجد أن التاريخ الحبشي لهذه المرحلة جد معقد ولم يجذب إليه الكثير من الباحثين والمؤرخين، رغم أن هذه المنطقة كانت لها حضارة قديمة، وتنظيم حضاري متقدم نسبيا، مما جعلها جديرة بأن تكون ممثلة بين الشعوب التي ثقافتها تعد جزءا من ميراث العقل الإنساني .

أما من الناحية الطبيعية فإن أرض الحبشة تتميز بهضبة ضخمة ضمن هضاب شرق إفريقيا، وهي من هذه الناحية منطقة طبيعية مميزة، بل يؤكد الجغرافيون أنه لا يوجد في إفريقيا كلها إلا القليل من المناطق المرتفعة الواسعة، التي تتباين ظاهراتها البيئية والبشرية كما هي الحالة في الحبشة إضافة إلى إرتباطها الطويل كمنطقة إتصال إفريقي طوال تاريخها القديم[1].

لقد وصف الجغرافيون أن بلاد الحبشة مكونة من هضبة أشبه بحصن جبلي منيع، شامخ وعر المسالك والدرب، أرستها الطبيعة وسط سهول قاحلة مجدبة وصحاري محرقة، أما الهضبة نفسها فتتميز بالخصب الوفير الذي قلما وجد له شبيهه في العالم إلا في الغرب الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية، أما الأراضي المنخفضة المحيطة بها فتشمل صحراء (الدناقل) أو صحراء (عفر) المحرقة ، التي تفصل بينها وبين البحر الأحمر من جهتها الشمالية الشرقية، وتمتد نحو سهول السودان المقفرة على طول حدودها

---

(١) د . فتحي محمد أبو عيانة، " جغرافية إفريقيا ".

الشمالية والغربية، وأما من جهة الجنوب فتحدها كينيا بمنطقتها القاحلة الخالية من السكان المستقرين، ماعدا البدو الرحل، ومن جهتيهاالجنوبية الشرقية تحدها سهول الصومال بما فيها صحراء أو غادين (OGADEN)[1].

ويذهب بعض الدارسين إلى أن مدلول إسم البلاد الحالى، كان عند الأقدمين يعنى رقعة من الأرض أوسع بكثير من حدودها السياسية الحالية، إذ كان المقصود بها أرض السودان وبضمنها بلاد النوبة حتى القسم الجنوبى من بلاد مصر.

ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب: (إن الحبشة كانت حدودها أسوان فى مصر)، ويقول أيضا: (وعلى أميال من أسوان جبال واحجار يجرى النيل فى وسطها، وهذه الجبال والمواضع فارقة بين سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين). أما حدودها الشرقية فكانت تصل إلى البحر الأحمر، ثم يذكر خليجا يسمى ميناء (بربرة) على الساحل الجنوبى المقابل لخليج عدن ويقع ميناء بربرة ضمن الصومال.

كذلك فإن أهم ما يميزها خاصة فى منطقة الساحل هو أنه يغلب عليها طابع البرارى، فيها رقع خضراء من المراعى حيث يوجد الماء، ولكن إذا إتجهنا إلى الجنوب غلبت الصحراء فى منطقة الدناقل، التى يعتبرها سكانها أنفسهم جهنم حقيقية على الأرض، وهو نفس الوصف الذى اطلقه على المنطقة أغلب المؤرخين المستشرقين المهتمين بها، ولكن إذا توغلنا فى الداخل إختلف منظر البلاد إختلافا مفاجئا، فعلى السهول تطل سفوح وعرة

---

(١) ممتاز العارف ،" الأحباش بين مأرب واكسوم ".

عالية بحيطان جبلية، تمتد من الشمال إلى الجنوب، وتنحدر إلى الغرب إنحدارا تدريجيا، وهكذا تتكون هضبة ترتفع في بعض المواضع إلى أكثر من ١٤ ألف قدم وتشقها وديان الأنهار شقا عظيما وعميقا وسفوحها الوعرة قلاع طبيعية يصعب جدا بلوغها، وتختلف الهضبة عن القطاع الساحلي إختلافا تاما في المناخ والنبات، ففي شهور الصيف تكون السهول جافة وحارة، ولكن يسقط المطر غزيرا على الجبال، فيشد سكان السهول رحالهم إلى الداخل. وجبال الحبشة مكان للجوء والإنعزال، تستطيع جماعات جنسية ولغوية وسياسية الإعتزال فيه وإقامة صور من الحضارة فردية مستقلة كما يمكن إقامة قوة سياسية وإستقلال سياسي والمحافظة عليهما عبر القرون[1] .

أسباب إهتمام مصر القديمة بالشرق الإفريقي

قبل التطرق إلى دور الأسر الفرعونية فإنه يجدر بنا أن نتطرق إلى أسباب توجه المصريين نحو الجنوب، حيث يذهب عدد من المؤرخين إلى أنه منذ عصور بالغة في القدم أن تملك الذهب يعد مرادفا للثراء، وقد بزت مصر في تملكه كل جيرانها، وكان المعدن النفيس متوافرا في الصحراء الشرقية في الرمال الفيضية والحصى، وكعروق في صخور الكوارتز على السواء، ولم يكن يحدث ذلك إلا حين بدأت الكميات في المناجم تشح، أو أن العمل أصبح بالغ المشقة، ومن ثم إنتقل التعدين إلى النوبة السفلى وما وراءها ، وهناك بردية تورين في متحف تورينو تتناول بالوصف الطريق إلى واحد من أقاليم

---

(١) سبيتينو موسكاتي، " الحضارات السامية القديمة ".

الذهب، إضافة إلى أن السياسة المصرية نحو الجنوب والغرب الإفريقيين حاولت بمختلف أساليبها بسط نفوذها على المنطقة، حيث كانت مهمة حماية الحدود ضرورة ملحة لكل ملوك مصر بالتتابع حتى العهد الروماني، حيث كانت حامية عسكرية دائمة بالجنوب وفى كل الحالات كان السلم الحدودى مضطربا، ولهذا كثيرا ما لجأت مصر إلى فرض الجزية على الكوشيين، ولقد إستمر حكام مصر فى محاربة البدو وتوسيع نفوذهم، محاولين فى نفس الوقت إجتناب المغامرة فى الصحراء لمحاربة البدو وقطاع الطرق ، مكتفين بالتفاوض معهم، حيث وجدت إتفاقيات على السلم مع جيرانهم من القبائل البدوية القوية والرحل من البجة والبلميين (BALMMYES) والمزاى أو الموساى (MAZAY)[1] ، وهذا يعد سببا هاما فى إتجاه السياسة المصرية نحو إدخال الجنوب ضمن إهتماماتها الإستراتيجية، وضمن نفوذها المباشر أو الغير مباشر، وهذا ربما يوضح أيضا أهمية موقع مصر بالنسبة لإفريقيا حيث يأتى كنتيجة لهذه العلاقات التاريخية التى تربطها مع المناطق المجاورة لها بالإضافة إلى ذلك فقد كانت فكرة من أين ينبع النيل تستولى على خيال المصريين، وبالتالى فإن أهمية تاريخ مصر هو إنعكاس لقيمة الموقع ووزنه الجيوسياسى فى القارة الإفريقية قديما وحديثا .

---

(١) KAMMERER , " Essai sur l'Histoire Antique de l'Abyssinie ".

أهمية موقع مصر وحدودها القديمة

وبإعتبار أن الموقع عاملا متفاوت القيمة وأهميته نسبيه، فإن مصر من حيث علاقاتها السياسية والبشرية والتجارب مرت بمراحل، إنتقلت في الإطار القاري والمناطق المجاورة لينتهي بالأهمية العالمية، ويمكن القول أن أهمية موقع مصر التجاري خصوصا خلال العصر الفرعوني، كانت محدودة ولا تقارن بأهمية موضعها الذي كان منبع القوة، فمنذ بداية عصر البطالمة وموقع مصر يزداد أهمية حتى ظهرت أهميته العالمية، إذن من خلال هذا يعد الموقع عاملا أساسيا في حياة مصر القديمة، خاصة في علاقاتها مع إفريقيا، وهنا يمكننا أن نوضح أهم منافذ مصر البرية والبحرية نحو إفريقيا، بإعتبارها عوامل مساعدة تابعة لأهمية الموقع الذي تحتله في إفريقيا.

في الحقيقة يؤكد عدد من المؤرخين القدماء على أنه لم تكن لمصر حدود ثابتة خارج وادي النيل خلال تاريخها الطويل ويحدثنا سترابون (STRABO) (٦٩ ق م - ٢٤ م) في هذا الشأن فيقول : (أن القدماء قبله كانوا يطلقون إسم مصر على ذلك الشريط الضيق من الأرض الزراعية، التي كونها النيل وراواها بمائه)[1].

ويرى بليني (PLINY) في هذا الشأن أيضا أن مصر تقع بجوار إفريقيا، وهي تمتد في الداخل نحو الجنوب حتى بلاد الكوشيين، ويكون فرعا النيل الحد الشرقي والحد الغربي لمصر السفلى، هذا الشريط يمتد من أسوان حتى البحر، لكن يظهر أنه منذ العصر الإغريقي أصبحت مصر تشمل إلى جانب الدلتا

---

(١) وهيب كامل ،" سترابون في مصر " .

والوادى (شمال أسوان)، الصحراء الشرقية وشمال سيناء وجزءا كبيرا من الصحراء الغربية، فقد كان حد مصر الغربى يبدأ من قرب السلوم ويتجه نحو الجنوب والجنوب الشرقى، ويشمل واحة سيوة والبحرية والفرافرة والداخلة والخارجة بل إن مصر خلال الحكم البطلمى كانت تمد حدودها الغربية لتشمل برقة، وتوسع حدودها الشمالية لتشمل قبرص(١).

وخلال العصر الرومانى والعربى إنتهت حدودها الغربية عند السلوم والواحات، وحدودها الشمالية عند ساحل البحر المتوسط أما حدودها الجنوبية فكانت تنتقل بين أسوان ووادى حلفا، وبينما يذكرسترابون أن الحد الجنوبى يمتد بالقرب من مدينة أسوان، نجد بطليموس الجغرافى (القرن ٣ م) يضع الحدود الجنوبية لمصر عند وادى حلفا، و هو ما يتفق إلى حد كبير مع الحدود الجنوبية الحالية .

وإذا إنتقلنا جهة الشرق، نجد الحدود الشرقية إتفقت مع ساحل الأحمر، وإمتدت شمالا لتضم جزءا كبيرا من شبه جزيرة سيناء، ومن هنا تولدت عن هذا الموقع معابر ومنافذ هامة لمصر القديمة نحو إفريقيا، وهى من أهم العوامل المساهمة فى علاقات مصر بإفريقيا قديما .

---

(١) BALL (J) ", Egypt in the Classical Geographers

وتتمثل منافذ مصر نحو إفريقيا في الآتي :

١. النيل (المداخل الجنوبية) : إن الحدود الجنوبية تجدبها ثلاثة طرق توصل من السودان إلى مصر.

أ - الطريق الجنوبية الشرقية: وتسلك وديان الصحراء الشرقية، مثل وادي العلاقي وينتهي عند بلدة التلاقي، ووادى خريط وينتهي عند كوم أمبو، وقد ربطت هذه الطريق بين شمال السودان ووادى النيل، وجاءت منها هجرات قديمة.

ب - الطريق الوسطى : وهي أهمها وتتمثل في نهر النيل، ورغم صعوبة الملاحة في النهر الممتد جنوبي أسوان فقد وصلت الحضارة المصرية القديمة، ويعدها البعض نفس الطريق للمسيحية وللإسلام، وقد كانت جزيرة فيلة في عهد الأسرات كما كانت أسوان (SYENE) فيها السوق التي يلتقي بها تجار الجنوب والشمال ، أو تجار النوبة وتجار مصر، وكان على كل منها حاكم يلقب بحامي المدخل الجنوبي، مهمته هي حماية الحدود الجنوبية من غارات القبائل المجاورة، وتأمين طريق التجارة عبر الحدود على هذه الطريق ولقد وصل مصر عبرها حاصلات السودان ووسط إفريقيا الذهب والفضة، وريش النعام والعاج والأخشاب الثمينة والبخور والصمغ.

جـ - الطريق الثالثة : وهي درب الأربعين ويبدأ من درافور وكردفان وينتهي في مصر السفلى مارا بالواحة الخارجة، وهذه

الطريق قديمة إستخدمت فى العصور الفرعونى وإشتهرت فى العصور المتأخرة بتجارة الرق والعاج وريش النعام.

٢ . **القناة والبحر الأحمر** : هنا يجب الإشارة إلى القناة التى ربطت البحر الأحمر بالنيل عن طريق وادى الطميلات وبحيرات التمساح والمرة التى كانت متصلة بخليج السويس خلال فترة طويلة من التاريخ، هذه كانت أيضا منفذا من منافذ مصر إلى البحر الأحمر ولقد حفرت هذه القناة عدة مرات، ولكنها سرعان ما كانت تترك لتردمها الرمال فقد حفرها لأول مرة الملك سيزوستريس الثانى (SESOSTRIS II) ، أحد ملوك الدولة الوسطى سنة ١٩٠٠ ق م. والرأى الراجح أن هذه القناة الأولى كانت تأخذ من أحد فروع النيل القديمة، ثم إتجهت نحو الشرق فى وادى طميلات حتى مدينة (PITHAM)، أو (HEROOPOLIS) التى كانت تقع على مسافة ٣٦ كلم إلى الغرب من مدينة الإسماعيلية، وحفرها فى المرة الثانية سيتى فى (١٢٥٠ ق م)، وفى المرة الثالثة نخاو (NECHO) فى (٦٠٩ ق م) ، وفى المرة الرابعة اعاد حفرها داريوس الفارسى (٥٢٠ ق م) ، والذى أراد أن يصل مصر ببلاد الهند، وفى المرة الخامسة بطليموس الثانى (٢٨٥ ق م) ، وفى المرة السادسة حفرها تراجان سنة (٩٨ م) ، وفى المرة السابعة والأخيرة حفرها عمر بن العاص سنة ٦٤٠ م لينقل عليها الغلال إلى مكة لكنها ردمت بأمر الخليفة العباسى سنة ٧٦٧ م[1].

---

(١) عبد الفتاح محمد وهيبة، " الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق ".

ذونظر لصعوبة إستعمال هذا الممر، فإن منتجات بلاد بونت كانت تنتقل في الغالب إلى أحد الموانى الجنوبية على ساحل البحر مثل (LEUCCOS - LIMEN) (القصير) أو ميوس هرموس أو برنيسى (BERENICE) أو عيذاب، ومنها تنتقل بالدواب إلى إحدى المدن على ثنية (قنا)، قد تكون قفط (COPTOS) أو قنا أو قوص، ومن ثم تنتقل بالقوارب النهرية إلى الإسكندرية .

٣ – المداخل الغربية : مداخل مصر الغربية هناك مدخلان :

أ – الطريق الساحلية : وكانت أقل شأن من طريق شمال سيناء ، وذلك بسبب قلة المياه الباطنية ، ومع ذلك سلكتها جيوش البطالمة عندما همت بالإستيلاء على برقة.

ب – طريق الواحات : فكانت تبدأ من ليبيا وتمر بواحة جغبوب وسيوة، ثم تتفرع إلى عدة فروع منها فرع يتجه شمالا ويصل بالطريق الساحلية، وأخر يتجه شرقا عبر منخفض القارة ووادى النطرون إلى الدلتا والفيوم وثالثة تتجه نحو الجنوب الشرقى إلى الواحات البحرية فوادى النيل، ومن الواحات البحرية أيضا تتجه نحو الجنوب إلى الواحات الجنوبية الداخلة والخارجة، هذه الطريق على أية حال قليلة الأهمية.

إذن بهذه المداخل والمنافذ الأساسية إستطاع المصريون إرسال بعثاتهم الإستكشافية والتجارية، وحملاتهم العسكرية نحو إفريقيا.

النفوذ المصرى فى إفريقيا الشرقية فى عهد الفراعنة

لاشك وأن المصرى عرف طريقه إلى بعض البلدان المجاورة منذ أقدم العصور، وتبادل معها التجارب، فلم يكن هذا التبادل ليتم طوعا فى كل الأحيان، بل ربما كان الحصول على سلع الجيران يتم أحيانا عن طريق الإغارة عليهم أيضا، ومن المرجح أن مينا (الأسرة الأولى) قام بحروب ضد الليبين والنوبيين، وإحتفل ببعض الإحتفالات الدينية وخاصة تلك المتعلقة بمراسيم التتويج وينسب إليه بعض المعابد، ومن المحتمل أنه تزوج أميرة من الوجه البحرى (نيت حتب)[١].

ويلاحظ أن الملك كان نشطا، فقد عثر على إسمه منقوشا على صخور جبل الشيخ سليمان بالقرب من وادى حلفا ، ويبدو أنه إنتصر على أهل النوبة بقصد تأمين حدودهم أو رغبة في الإستيلاء على بعض حاصلات الجنوب[٢]، كذلك وصل النفوذ المصرى فى عهد (جيت) الذى وجدت أثاره وإسمه منقوشا على أحد الوديان التى تربط بين أدفو وساحل البحر الأحمر، مما يدل على مدى ما وصل إليه النشاط المصرى فى إرسال البعثات التجارية أو بعثات إستغلال المحاجر والمناجم من منطقة الصحراء الشرقية. كذلك فإنه أثناء حكم (زوسر) لم يقتصر نشاطه على الجانب المعمارى، بل صد الغارات ودعم علاقاته بأراضى إفريقيا، حيث أنه عندما حدثت مجاعة فى البلاد بسبب توقف

---

(١)محمد أبو المحاسن عصفور، " معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم .

(٢) ARKELL (A J) " A History of the Sudan from the earliest Times to A . D . ١٨٢١ ".

الفيضان عن الوصول إلى منسوبه المعتاد، وبعد إستشارة حاكم الإقليم الجنوبى لمصر أمر الملك بأن توقف الأراضى الواقعة على جانبى النيل جنوبا من جزيرة سهيل إلى قرب الدكة فى بلاد النوبة للإله خنوم وبذلك عاد الفيضان[1]. وقد قام (حونى) آخر ملوك الأسرة الثالثة بتحصين جزيرة إلفانتين، إذ يبدو أن الحالة على الحدود الجنوبية لم تكن مطمئنة فى عهده، وإمتاز سنفرو (الأسرة ٤) بالنشاط إذ أنه قام بحملة إلى النوبة وليبيا جلب منها عددا كبيرا من الأسرى والماشية، كما قام بحملة أو بضع حملات على سيناء.

ويبدو أن التجارة فى عهد (خوفو) قد نشطت بإتجاه الجنوب والشمال نحو فينيقيا، ويؤكد مؤرخون أنه ورد ذكر لرحلات تجارية هامة إلى بلاد بونت (الأرض المقدسة) فى نصوص الدولة القديمة، وخاصة منذ عهد ساحوراع ٢٤٧٠ ق م (الأسرة ٥) وكذا عهد الملك سنفرو الأسرة الثالثة (٢٩٠٠ ق م) حيث كانت السفن المصرية فى هذه العهود القديمة تمخر عباب البحر الأحمر.

ويشير حجر بلرمو إلى أن الملك ساحوراع أرسل حملة إلى بلاد بونت، وأن هذه الحملة عادت ومعها مقادير كبيرة من البخور والذهب، ومن نقش صخرى قرب بلدة توماس ببلاد النوبة يمكن أن نستنتج أنه أرسل حملة إلى الجنوب، حيث أن هذا الملك إمتاز عهده بنشاط خارجى عظيم، خرجت فيه مصر عن عزلتها وإحتكت بجيرانها . ومن الأدلة على ذلك ما نشاهده فى مقبرة أحد الملوك أو أحد أشراف عهده فى دشاشة من مناظر حربية ، كذلك فإن الملك إسيسى (زدكارع) يبدو أنه كان نشطا قويا أمن حدود بلاده، إذ أن

---

(١) BARAGUET." La Stelle du Famine a Sahel".

نقوشا تحمل إسمه وجدت فى توماس بالنوبة وفى وادى الحمامات، ولقد شهدت الأسرة السادسة حوالى (٢٣٤١ - ٢١٨١ ق م) رحلات متعددة برا وبحرا إلى بلاد بونت (punt)، ولعلها ساحل الصومال الذى يواجه الجزيرة العربية، وفى تلك الفترة كانت تقطع البحر الأحمر كله إلى الجنوب وتعود سالكة الطريق نفسه فى وجه الريح، وهو عمل غير هين فى مثل ذلك العصر وفى مثل ذلك البحر، وتسمى النصوص المصرية هذه السفن أحياناً بسفن الجبال[1].

يفسر ذلك بعض المؤرخين على أن السفن كانت على نمط أخذ عن المدنية الفنيقية، أو أنها كانت من النوع الذى يستغل فى الملاحة إليها، وهذا مايؤكد التعاون المذكور أنفاً بين الفنيقيين والمصريين فى الملاحة البحرية وقد توج هذا التعاون بمشاريع هامة فى الكشف فى إفريقيا.

وتدل نصوص الرحالة (حرخوف) الذى عاش فى الأسره ٦ على أن أحد رجال هذا الملك ويدعى (با أوردد) استطاع أن يجلب له قزماً من بلاد بونت فكافأه من أجل إحضاره، وهذا مما يؤيد وجود نشاط مصرى مكثف مع الأقطار الجنوبية، ويبدو أن عهد (بيبى الأول) شهد نشاط من بعض العناصر المجاورة لمصر، وخاصة فى الشمال حيث شغلته عناصر من بدو سيناء وجنوب فلسطين، واستطاعت هذه العناصر تهديد الحدود المصرية، لكن قائده (أونى) جمع جيشاً كبيراً من الوجه القبلى ومن النوبة قضى به على المتاعب التى هددت مصر فى الشمال، أما الملك (مرى نرع) الذى اعتلى العرش وهو صغير إذ كان فى نحو ثمانى سنوات عند وفاة والده، ومات بعد حكم ٤ سنوات وهى

(١) محمد أبو المحاسن عصفور، " علاقة مصر بالشرق الأدنى القديم ".

فترة وجيزة، فأهم مانعلمه عن عهده جاءنا عن طريق الوزير أونى، ومنها تبين أن هذا الملك أمره بحفر خمس قنوات فى منطقة الشلال الاول لتسهيل مرور السفن، كذلك يشير أونى إلى أنه استغل اخشاب الاشجار فى النوبة لعمل سفن كبيرة، استغلها فى شحن أحجار الغرانيت اللازمة لبناء هرم الملك، وتوحى هذه النصوص بأن الملك أو بالأحرى ديوانه شعر بخطر حكام الأقاليم، فعين هذا الموظف النشيط حاكماً على الوجه القبلى، ولم يكن لهذه الوظيفة مثل هذا الدور العملي فى مراقبة حكام الأقاليم إلا فى عهد هذا الملك، لأن لقب حاكم الجنوب أصبح بعد ذلك لقباً شرفياً ولم تكن له قيمة عملية، ويدل نصان من منطقة الشلال الأول على أن الملك ذهب إلى هناك بنفسه، حيث تقبل خضوع زعماء بعض القبائل النوبية.

ولابد أن الاهتمام بالاتجار مع النوبة قد ازدادت أهميته فى عهد الأسرةالسادسة، إذ لا شك فى أن مصر كانت تحصل على منتجات النوبة فى أول الأمر عن طريق الرحالة والمغامرين، ثم بدأت التجارة تنتظم وأخذ ملوك الأسرة السادسة يعهدون بها إلى بعثات تجارية يرأسها أحد كبار الموظفين، أو يكلف بها أمير الإقليم الجنوبى من مصر، وهؤلاء كان الواحد منهم يلقب عادة بلقب يدل على رئاسة فرق من المرتزقة، حيث يبدو أن عدداً من هؤلاء ومن الجنود النظاميين كانوا يرافقون تلك البعثات لحمايتها، ومن أشهر رؤساء البعثات فى ذلك العهد (حرخوف) الذى يعد أعظم رحالة الدولة القديمة، حيث وصل فى أسفاره إلى منطقة بعيدة تدعى (يام)، وقد بدأ رحلاته فى عهد هذا الملك، وكان فيها يصاحب والده (أرى).

يحدثنا (حرخوف) الذى تولى حكم ألفانتين فى عهد (مرنسوع) وخلفه ، أنه قام بأربع رحلات إلى بلاد اليام (يام) التى سلف ذكرها، فلقد كان الغرض من الرحلة الأولى التى كانت تحت إشرافه هو وأبيه البحث عن طريق إلى هذه البلاد، ويفخر حرخوف بأنه أتم هذه الرحلة فى ٧ أشهر وأنه عاد منها بكنوز ثمينة، أما المرحلة الثانية، فقد أشرف عليها بمفرده على نحو ماحدث فى الرحلات التالية، ووصل عن طريق إلفانتين إلى اليام (يام) وقد جلب معه بعد غياب ٨ أشهر هدايا عظيمة كثيرة لم يسبق أن جلب مثلها من هذه البلاد، وقد رجع من منطقة سزو وإرزت وذلك بعد أن ارتدت هذه البلاد عن الملك، على أنه أكثر استفاضة فى الكلام فى رحلته الثالثة، فقد رحل هذه المرة عن طريق الواحات إلى يام، غير أنه وجد أمير هذه البلاد غائبا فى حملة حربية ضد الليبين، ويتابع حرخوف حديثة قائلاً (لقد تبعته إلى بلاد الليبين وهدأت غضبه) وبينما هو عائد لوطنه ومعه ٣٠٠ حمار محملة بالبخور والأبنوس والطيب والحبوب وجلود الفهود وأنياب الفيلة وعصى الرماية وسائر الذخائر الثمينة، إذ قابل بين إرزت وسزت زعيم إرزت وسزت وواوات وقد جمع قواته ليقطع على المصرى الجرىء طريق عودته إلى بلاده، لكنه عندما رأى قوة فرقة يام وكثرة عددها وهى التى استصحبها حرخوف لتكون دريئة لجنده أهداه هذا الزعيم الماشية والماعز، وصاحبه بنفسه فى الطرق الجبلية فى ارزت وقد أرسل الملك إلى ذلك الموفق العائد إلى وطنه بسفينة تحمل الاطعمة المصرية الشهية (كنبيذ البلح والكعك والخبز والجعة) لاستقباله، ومع ذلك ظلت إلفانتين وقتا طولا ملكا للنوبيين اتخذوا المظهر المصرى فقط باعتبارهم خاضعين وموظفين لفرعون مصر.

أما في عهد ببي الثاني فقد توالت الرحلات التي كان يقوم بها أمراء الأقاليم الجنوبية إلى النوبة، ووصلوا إلى مناطق لم يسبق للمصريين أن وصلوها من قبل، ورغم هذا النجاح الكبير في الكشف إلا أن هيبة مصر قد تعرضت إلى الاستهانة بها في أواخر هذا الملك، لأن ماأصاب البلاد من ضعف كان النوبيون يشعورن به دون ريب. فبعض النصوص المتأخرة من عهده تشير إلى ذلك إذ يفهم منها أن النوبيين بدأوا يظهرون روح العداء نحو مصر ولذا أخذ قواد القوافل يستميلونهم بالهدايا، ولم يكن النوبيون وحدهم الذين يشعرون بما ينتاب مصر من ضعف بل إن العناصر الاكسومية المجاورة كانت هي الأخرى تشعر بالحالة الداخلية في مصر.

ورغم ضآلة معلومات المؤرخين عن الأسرة الثامنة. فإن المصادر القديمة تشير إشارات عابرة إلى إرسال البعثات لاستغلال المحاجر أو إلى شمال النوبة، ويلاحظ أن الملك (أنتف الأول)، من الأسرة ١١ كان يلقب قبل أن يعلن ملكا بحارس الحدود الجنوبية حيث يبدو أن الأقاليم الجنوبية من مصر كانت تكون اتحادا فيما بينها بزعامة طيبة.

يلاحظ أن الدولة الوسطى (٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق م) نشطت في ارسال البعثات حيث بعث الفراعنة بحملات بحرية إلى (بنت)، ينعكس هذا النشاط في القصة المشهورة عن ذلك الملاح الذي نجا وحده من سفينة مصرية، تحطمت بالبحر الأحمر، وألقت به الأمواج على جزيرة تبعد عن طيبة مسافة تقطع في شهرين، وكان في الجزيرة ثعبان يزعم أنه أمير (بنت) (PUNT)،

وكان يهيمن على طائفة متنوعة من التوابل والحيوانات الافريقية[1]، وفي الأسرة (١٢) وصلت حملاتها وبعثاتها إلى مابعد الشلال الرابع، حيث يلاحظ أن (إمنوحتب) الأول، قد أرسل بعض البعثات إلى النوبة وأخرى إلى وادى الحمامات لاستغلال المحاجر أو للقيام منه بالحملات نحو بونت، كذلك في عهد إمنوحتب الثاني الذى اتبع سياسة والده في التعمير والكشف، حيث نشطت حركة البناء في الدلتا والصعيد وتقدمت الفنون في عهده، وقد أرسل بعثة إلى وادى الحمامات برئاسة مدير البيت المالكي، وكان تعدادها ٣٠٠٠ شخص، فلما وصلوا إلى شاطيء البحر صنعوا السفن وذهبوا بها إلى بونت، ولقد أحضر الأحجار الممتازة في صناعة التماثل اللازمة للمعابد. كذلك فان امنحتات الأول (الأسرة ١٢) كان نشطا في استغلال المحاجر وارسال البعوث لجلب الاحجار من وادى الحمامات كما أرسل بعض الحملات إلى النوبة واستطاع أن يخضع جزءها الشمالي لسلطانه، أما سياسته تجاه أمراء الأقاليم فكانت تختلف باختلاف الاحوال، حيث كان يخطب ود الكثير من الأمراء حتى لا يثيروا المتاعب للحكومة المركزية إذا ماغفلت بعض الوقت عن نشاطهم. وكان لسينوسرت الأول نشاط طوال مدة حكمه التي بلغت نحو ٤٥ عاماً، فقد أرسل عددا من البعثات إلى المحاجر والمناجم في الصحارى المصرية والنوبة، حيث جلبت الذهب من وادى علاقي بصحراء النوبة السفلى والشرقية والديوريت من محاجر صحراء النوبة الغربية على بعد نحو ٥٠ ميلاً إلى الشمال الغربي من توتشكي.

(١) جورج فضلو حوراني، " العرب والملاحة فيالمحيط الهندى في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى " ترجمة يعقوب بكر.

وهنا يقول الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور [1] (أنه عثر في المحاجر على أسماء ملوك خوفو و د د ف رع، ساحوراع اسيسي من عهد الدولة القديمة ...)، ولقد شيد سنوسرت الكثير من المباني في مختلف الجهات الجنوبية من النوبة، حيث أخضع جزءاً كبيراً منها للنفوذ المصرى حينئذ، لأن الدولة الوسطى اتبعت تجاه النوبة سياسة تختلف عن تلك التى اتبعتها الدولة القديمة فبينما كانت هذه الأخيرة تكتفي بارسال بعثات تجارية للاتجار مع النوبيين، وتعمل على حماية بعثاتها بارسال بعض القوات العسكرية معها نجد الدولة الوسطى بدأت سياسة احتلال فعلي، حتى تتمكن من استغلال مواردها وفق مشيئتها من جهة ولكى تؤمن حدودها الجنوبية تأمينا مؤكدا من جهة أخرى، وذلك لأن مجموعة من العناصر القوية الشكيمة الخليطة بالعناصر الزنجية أخذت تتوغل في النوبة شمالا، وأصبح يخشى من تقدمها نحو مصر نفسها، ويعد سنوسرت الأول بحق أول من اتبع سياسة حاسمة مع النوبة، لأنه مد الحدود المصرية إلى وادى حلفا على الأقل، وإليه ينسب تشييد ما لا يقل عن ثلاث قلاع في هذه الجهات، ومع ذلك لم يستطع الاحتفاظ إلا بالجزء الشمالي من فتوحاته، وهي بلاد واوات. وواصل ولده امنمحات الثاني جهوده نحو الجنوب وتدعيم الصلات مع المنطقة إلى النوبة وبلاد بونت، لكن حفيده سنوسرت الثالث كان ذا شهرة كبيرة في التاريخ؛ لأن نشاطه الكبيرة من جهة وطول مدة حكمه من جهة أخرى مكنه من أن يثبت حدود البلاد الجنوبية بالقرب من سمنة الحالية، وأن يفتخر بأنه (مد حدوده إلى أبعد من حدود أبائه وأنه زاد فيما ورثه)، وفي السنة الثامنة من حكمه أقام نصبا عند الحدود حتى لا يتعداها أي نوبي سواء عن طريق الماء أو الأرض، سواء عن طريق

---

(١) محمد أبو المحاسن عصفور، " معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم

السفن أو مع قطعان الماشية، أما النوبيون الذين كانوا يأتون كرسل أو الذين يقصدون سوق (أكن)، فهؤلاء وحدهم هم الذين كان يباح لهم المرور ولكن في غير سفنهم.

من هنا يبدو أنه قدر لملوك الأسرة ١٢ والعظام التوغل فى بلاد النوبة وفتح جزئها الشمالي للحضارة المصرية، رغم بدأ نجم هذه الأسرة فى الأفول، إلا أن بلاد الجنوب (النوبة) ظلت على علاقة بمصر ، كما يتضح ذلك من وجود نقوش تسجيل ارتفاع الفيضان في عهد امنمحات الرابع.

وبينما أخذ الملك فى تنظيم علاقات سليمة شمالا فإذا بسيادته تتعرض إلى الغزو فى الجنوب، فيعيد السيطرة على المنطقة بفتوحات وطد بها نفوذه، حيث يقول (لقد رآهم جلالتى وليس كذبا أننى سبيت نساءهم وأسرت رجالهم ... وقمعت ثيرانهم وأتلفت حبوبهم وأشعلت فيها النار (أقسم) وحياة أبنائي أنني أقول الحقيقة) ويزيد الملك على ذلك بإلحاحه على خلفائه بالاستمساك بما حققه من فتوحات وأملاك جديدة، وقد بنى حصناً وزوده بمعبد صغير ومما يدل على حسن سياسته أنه أهدى هذا المعبد قبل كل شيء إلى الإله النوبي القديم (ددون)، وتذكر نصوص الأهرام هذا الإله وتصفه (الشاب الصعيدى الذى يأتى من بلاد النوبة ويعطى الملك البخور الذي تتبخر به الآلهة)[1].

وظلت هذه الولاية الجديدة تابعة لمصر فى الأجيال التالية مباشرة دون أن يجرؤ أحد على الاعتداء عليها واستطاع خلفاء ذلك الفاتح تسجيل ارتفاع

---

(١) POSENER, " Princes des pays d'Asie et de Nubie ".

النيل فى وقت الفيضان عند حدود بلادهم الجنوبية عند سمنة، ورغم أن الأسرة الثانية عشر قد ثار ضدها أمراء من النوبة، فإنه يحتمل أن نفوذ الأسرة الثالثة عشر قد امتد إلى بلاد النوبة، ويذهب البعض إلى أن الملك (نحسى) يمت بصلة إلى النوبة وربما كانت أمه نوبية.

لكن ينتاب مصر عهد من الاضطرابات مدة حكم الهكسوس، حيث فقدت مرة أخرى سيادتها على البلاد الجنوبية، وتدل ظواهر الأحوال على أن منطقة الشرق الأدنى القديم تعرضت لأحداث كثيرة متتالية، فى الوقت الذى أشرفت فيه الدولة الوسطى على نهايتها، فقد قضت بابل على الممالك المجاورة لها، كما أن المملكة الكاشية قد أخذت هى الأخرى تتطلع إلى غزو الأقطار المجاورة لها بينما أخذ الحوريون أو الميتانيون يستولون على البلاد السورية، ولا شك أن هذه التحركات ذات أثر فى هجرة وتسلل الكثير من العناصر الآسيوية إلى مصر، واستقرت جموعها فى المنطقة الأقرب إلى مواطنها الأصلية أى فى شرق الدلتا على الأرجح، ولم يمض وقت طويل إلا وأصبحت قوة يخشاها المصريون، واستفحل خطرهم وزاد إلى أن تمكنوا من فرض سلطانهم على مصر وجعلوا عاصمتهم أواريس، ومع أن عهدهم كان موضع أبحاث عديدة، إلا أن الغموض مازال يكتنفه، ويبدو أن الثلاثة ملوك الأخيرين فى المجموعة الأولى وهم (أبوفيس) (خيان) (شيشى) أو (إسيسى) قد حكموا مصر كلها والنوبة السفلى، لأن أثارهم وجدت موزعة فيها، إلا أنهم لم يستطيعوا الإحتفاظ بنفوذهم طويلا فى الجنوب ، إن كان من المرجح أنهم ظلوا على صلة به كما يستدل على ذلك من لوحة عثر عليها بالكرنك سنة ١٩٥٤ تصف كفاح كاموزا ضد الهكسوس فى أواخر عهدهم، إذ نتبين منها أن الملك الهكسوسى كان على صلة بأمير النوبة. والظاهر أن تجارة الهكسوس

كانت تجارة رابحة، وان ملك الهكسوس هناك ونفوذه ظل قائما فى الصعيد، إلى أن بدأ الأمراء المحليون يعارضون هذا النفوذ وازدادت مقاومتهم له فى الأسرة السابعة عشر، كذلك نسجل نزوح بعض المصريين نحو الجنوب وتبرمهم من نفوذ و حكم الهكسوس، حيث عملوا لدى أمراء الجنوب، الذين تخلصوا من النفوذ المصرى، وأخذ يحكم جنوب النوبة أمراء مستقلون، وبينما أخذ المصريون الذين أجبرتهم الظروف على مجابهة بعض الأخطار فى أقاليمهم يستعينون بالكثيرين من أبناء النوبة الذين قدموا إلى مصر جنودا ومرتزقة ولقد استعان بهم المصريون فى حرب الاستقلال لطرد الهكسوس.

ومن هنا فبعد عهد (كاموزا) و (سقنن رع)، حيث بدأت مصر بمجىء (أحمس الأول) فى تكوين امبراطورية مترامية الأطراف، أصبحت أقوى أمم الشرق الأدنى القديم، حيث شهدت منطقة الجنوب توسعا مصريا وأرسى هذا الملك دعائم الأمن خاصة مع القبائل التى عطلت عملية الكشف والرحلات والتجارة، وشيد إحدى القلاع، وبدأ وضع سياسة لادارة هذه البلاد بتعيين حاكم عسكرى عليها، واسناد شؤونها المالية والادارية إلى أمير (نخن)، ويظهر من النصوص التى خلفها أنه أخضع الجنوب والعصاة فيه. رغم ذلك يذهب البعض إلى أن النفوذ المصرى فى الجنوب (النوبة) أن المنطقة لم تصبح جزءاً أساسياً من المملكة المصرية، فقد ظلت دائماً تحت ولاة من قبل ملوك مصر كانوا يلقبون (الابن الملكى لبلاد النوبة والقيم على البلاد الجنوبية) ، وأيضا: (على بلاد الذهب).

كذلك فإن (امنحتب الأول) ورغم توليه العرش وهو صغير لكنه كان خبيراً بالملك ومقداما كأسلافه فنصوص الضابطين (أحمس بن أبابا وأحمس

بن تحب) تشير إلى أنهما ذهبا فى حملة إلى النوبة، بل وتوغلا إلى سمنة (جنوب الشلال الثانى) على الأقل، حيث ترك (تورى) الحاكم المصرى على النوبة فى عهده نصين فى سمنة والثانى فى أوناريتى (جزيرة الملك)، وهما مؤرخان بالسنة السابعة والثامنة من عهد امنحتب على التوالى، ويرجح أن قيام هذا الملك بهذه ا لحملة حدوث ثورة فى النوبة ويذكر الكهنة أن نفوذ هذا الملك وصل إلى منطقة (كاروى) أى إلى قرب منطقة (نبتة) عند الشلال الرابع، لكن حسب عدد من المؤرخين لا توجد أدلة على ذلك، كذلك وسع نفوذه نحو مناطق الليبيين ... وبهذا إستتب الأمن والسلا م بالمنطقة.

ويلاحظ أن تحتمس الأول (خليفة امنحتب الأول) والذى كان حاكماً على الجنوب يلقب بأميركوش وكوش هى المنطقة المعروفة باثيوبيا، اقام فى النوبة، وقسم البلاد التى بين الشلال الأول والنيل الأزرق إلى مديريات أو أقاليم يدير شؤون كل منها حاكم من مصر تابع لأمير كوش، وأصبحت هذه المنطقة تسود فيها النظم الادارية والسياسية المصرية، وعندما صار ملكاً (١٥٥٧ ق م) أرسل جيشاً كبيراً وأسطولاً نهريا هزم القبائل السودانية المتمردة، وأجبرها على العودة لدفع الجزية لمصر، وفى صخرة باحدى جزائر الشلال الثالث نقوش هيروغليفية تدل على أن (تحتمس الأول) اجتاز الصحارى والجبال ووصل إلى بلاد لم تطأها أقدام أسلافه وكان يهدف من مد هذا النفوذ إلى توسيع نطاق الاتصالات والتبادل التجارى، وبالتالى ضمان أمن الطريق التجارى إلى مصر سواء بطريق النيل أو الطريق البرى، ولهذا استولى على تلك المناطق التى إلى الجنوب من الشلال الثالث، وأمر بتطهير مجرى النيل عند الشلال الأول.

وجاء تحتمس الثاني في ظروف تميزت بخلاف على العرش. مما شجع أهل الجنوب على الثورة ضد النفوذ المصرى، لهذا أرسل إلى هناك حملة لنشر الأمن بها، وهنا يذهب بعض المؤرخين إلى أن جيوشه وصلت إلى جبل البرقل عند الشلال الرابع، غير أنه من العسير تأكيد ذلك، لكن على آثار جدران طيبة إسما لمكان كوش والواوات كانت تحت حكم مصر، ودلت الآثار على أن بلاد الصومال والواوات كانت تدفع الجزية لتحتمس الثالث[1].

وبعده تولت حتشبسوت في ظل ظروف تميزت بالصراع ضد تحتمس وأنصاره، ومهما كان فإن عهدها بشهادة المؤرخين أنه عهد رخاء وطمأنينة، ولا جدال في أنها كانت قديرة في الحكم واستطاعت أن توجه نشاط الدولة إلى التجارة والأعمال الانشائية إذ أرسلت حملة إلى بلاد بونت ولعل ذلك كان عام ١٤٩٥ ق م، وتدل الرسوم البارزة والنقوش في الدير البحري كيف سيرت إليها خمس سفن كبيرة، وكيف استقبلت (بنت) المصريين ولهذا الغرض فقد قامت حتشبسوت بانشاء طريق تمتد عبر الفرع البلوزى أحد فروع النيل القديمة بالغرب من الزقازيق مخترقة وادى الطميلات، ثم البحيرات المارة إلى السويس[2].

ويلاحظ أن حتشبسوت لم تكن محبة للحرب، ولم تخرج على رأس الجيش، ولكنها وجهت عنايتها لاقامة المباني العظيمة (مسلتها الجرانتية). وتوسيع نطاق التجارة الخارجية. كذلك كانت هذه الملكة في حاجة إلى بعض أشياء كمالية لمعابدها ومقبرتها فأرسلت حملة إلى بونت سجلت

---

(١) عبدالله حسين، " السودان من التاريخ القديم إلى البعثة المصرية ".

(١) منذر البكر، " العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني

مناظرها على أحد جدران معبدها الفخم الذى ينتهى فى الناحية الغربية من النيل، حيث عثرت بعثة متحف المتروبوليتان فى نيويورك عندما كانت قائمة بحفائرها لتنظيف هذا المعبد على كثير من بقايا رسومها على طول الطريق الموصل إلى الهيكل. لقد كان أسطول الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت مكونا من خمس مراكب، ويرى فى هذا الرسم اثنين منها وقد رسا الاسطول على الشاطىء، وطويت القلوع وأخذ الملاحون بعد أن مدوا (السقلات)، يحملون البضائع لشحنها، وأخذ بعض هؤلاء الملاحين يعاكس قردا جلس على ظهر المركب، وتتحدث النقوش قائلة (تم تحميل المراكب بجميع الأشياء الجميلة فى بلاد بونت والأخشاب العطرية من أرض الإله، وأكوام من البخور الجاف وأشجار البخور وكذلك الأبنوس والعاج، والذهب من بلاذ (إمو) الأخضر، وخشب القرفة وخشب الحنسيت، ونوعين من أنواع البخور والكحل والقرود والنسانيس والكلاب وجلود الفهد الجنوبى، وكذلك بعض الأهالى، وأطفالهم، ولم يحدث أن جىء إلى ملك من ملوك بمثل هذه الأشياء منذ بدء الخليقة[1]. وهذا المنظر منقوش على أحد جدران معبد الدير البحرى فى طيبة، لكن تحتمس الثالث شن حملة على آثارها حيث حطم عماله ١٠٠ تمثال لتلك الملكة وأيضا اسمها والرجال الذين ساعدوها.

ورغم ذلك فان تحتمس الثالث قد ساد الهدوء فى عهده بالجنوب، حيث تشير حولياته بالكرنك إلى ورود جزيتها بانتظام ابتداءا من السنة ٢٥ إلى سنة ٣٩ من حكمه، ولهذا لم يكن هناك مايدعو إلى توجيه حملات للجنوب. ويعد هذا الملك أول قائد عظيم وأنه أعظم ملوك مصر المحاربين، ولهذا يسميه

---

(١) برستيد، " إنتصار الحضارة ".

البعض بنابليون مصر، وحكم أكثر من خمسين عاما (١٥٠٠ - ١٤٤٧ ق م) ودونت أخبار حروبه على جدران معبد الكرنك حيث كون امبراطورية ثابتة الأركان، وبنى أول أسطول حربى مكنه من بسط نفوذه على البحار. وأيضاً في عهد إمنحتب الثانى فلقد استمر النفوذ المصرى بالمنطقة حيث شيد فى وادى (باع النجا) عند النيل الأزرق، واستمر الحكم المصرى بالمنطقة (الجنوب) بين القبائل فى عهد تحتمس الرابع (١٤٢٠ ق م)، حيث يغلب الظن أنه استطاع أن يمد نفوذه إلى أبعد من الحدود التى وصل إليها اسلافه، إذ عثر على آثار له فى جبهات كثيرة. أما (امنحتب الثالث) وصل فى حملته جنوبا حتى العطيرة وأن ملكه وصل إلى الشلال الرابع، وأعلن أنه إله الجنوب وشيد معبدا له فى جهة (صلب) التى تبعد مائة وخمسين ميلا من وادى حلفا جنوبا، وكانت زوجته الملكة (دى) تعبد كإله فى معبد (سد نجة) الذى بنى باسمها وهو يبعد أميالا قليلة من (صلب) شمالا، وفى دقلة آثار يرجع تاريخها إلى عهد (امنحتب الثالث). ويشير نص مؤرخ بالسنة الرابعة أو الثامنة من حكمه إلى أنه قام بحملة نحو الجنوب وأخضع أجزاءا منها، لكن المؤرخون يقللون من أهمية هذه الحملة مقارنة بحملاته فى آسيا أو ضد اليمن. ولقد وجدت فى السودان آثار يرجع تاريخها إلى عهد إخناتون (١٣٧٥ ق م) وتدل الآثار على أن السودان كان يدفع الجزية إلى الملك (آى) ١٣٤٩ ق م ، والملك (حور محب) ١٣٥٠ ق م الذى زار السودان وله لوح أثرى فى جبل (السلسلة) عليه إسمه يظهر جالسا على عرشه محمولا فوق أعناق إثنا عشر سودانيا، وأن الصومال كانت ترسل الخيرات إليه.

وفـى عهـد الأسـرة التاسـعة عشـرة كـان الحكـم المصـرى فـى عهـد رمسيس الأول (١٣١٥ ق م) مبسـوطا إلى الشـلال الثـانى فقـط، لكـن إبنـه سيتى الاول (١٣١٣ ق م) أعاد الحكم المصرى إلى الجنوب بصحاريه الشرقية والغربية، وأنشأ القلاع وأصلح الطـرق إلى مناجم الذهب فى شرق السودان، وحفر الآبـار وأقـام معبـدا للآلـه (آمـون رع) و (أوريـس) و (حوريـس) فقـد وجدت خريطة لمناجم الذهـب بوادى شوانب فـى ورقـة بردية محفوظـة بمتحف تورينو بايطاليا، أما رمسيس الثانى فلقد حظـى بشهرة لم يحظ بمثلها أى فرعون نظرا لحكمه الطويـل (٦٨ عـام)، ممـا جعلـه يقوم بمشاريع ضخمـة، فلقد شيد معابد ومبانى ضخمة فـى منـاطق عديـدة بـالجنوب ومـد طريـق المواصلات وعبدها بعد أن أدب العناصر المناوئة نحو مناجم الذهـب فـى الجنوب وحفر الآبار.

ويذكر الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور: (أنه عثر علـى لوحـة رمسيس الثانى فى أسوان، تشير إلى أنـه فـى السـنة الثانيـة مـن حكمـه قضـى علـى الإثيوبيين والحتيين وبابل وأجانب فى الشمال والتمحو والنوبيون ...).

ويلاحظ أن رمسيس الثانى كان مولعا بتخليد أعماله، فقـد أتـاح لـه حكمـه الطويل (٦٨ عاما) بأن يقيم معابد عديدة، خاصة فى الجنوب، أهمها معبـد أبـو سمبل، ويبدو أنـه كـان مشـتغلاً كثيـراً بـأحداث آسـيا، وكذلـك يتهـم بعـض المؤرخين رمسيس الثانى أنه أدخل فـى الجيـش كثيرا مـن المرتزقـة مـن الجنوب والليبيين، مما أضعف مصر وبالتالى قوتها، وأوصل عمله هذا عناصر أجنبية إلى القصر. أما (مرنتبـاح) فإنـه قـام بحملـة نحـو الجنـوب ليثبـت حـاكم النوبـة فـى منصبه، لكن عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ ق م)، زاد فـى تشـجيع

الاتصال والرحلات، خاصة التجارية نحو الجنوب، كما أنشأ سفنا نيلية وبحرية كانت تمخر عباب البحر الأحمر إلى ميناء القصير، الذى ازدهر فى ذلك العصر؛ كذلك استطاع هزم التحالف الليبى مع شعوب البحر ومطاردتهم، وبالتالى دخل الليبيون مسالمين إلى مصر جنودا كمرتزقة. وبعد ذلك تولى الحكم ملوك ضعافا مدة ٧٥ سنة؛ انتهى حكم الأسرة ٢٠ حيث ظلت الأمور تسير من سىء إلى أسوأ، وأصبح العوبة فى يد كهنة آمون، الذين استأثروا بالسلطة وتقلص نفوذ مصر، وأصبح الجنوب مملكة مستقلة عن مصر.

وكان لسرعة تدهور أوضاع مصر أن أحد ملوك الجنوب (النوبة) (٧٥٠ -٧٤٠ ق م) أرسل جيشا وأسطولا غزا به مصر بالوجهين القبلى والبحرى، فى حين يرى آخرون أنه جاء للقضاء على الثورة التى قامت ضد الملك رمسيس التاسع، بل إن أحد ملوكها (رمسيس الحادى عشر) فر من مقر المملكة فى الشمال نحو الجنوب عند كهنة آمون، من هنا أصبحت السلطات الروحية والزمنية فى جنوب مصر يهيمن عليها رؤساء كهنة آمون، حيث توارثوا قيادة وحكم النوبة، وهكذا ولى طهراقة ابن (بيعنحنى) عرش مصر سنة ٦٨٨ ق م.

ويلاحظ أنه فى الوقت الذى كانت الأسرة ٢١ فى طريقها إلى الإنهيار، أخذت أسرة ليبية تتقوى وتشتد حيث استولى (شيشنق) على العرش، ويبدو أن كهنة آمون كانوا أقل قبولا لحكمه من أهل الدلتا، ومن المؤرخين من يرى أن طائفة من كهنة آمون لم تقبل الاعتراف بحكمه وفرت إلى بلاد النوبة، حيث احتمت بمنطقة ناباتا وجعلت منها عاصمة للمملكة التى أقاموها هناك ولهذا يرجع المؤرخون أصل الأسرة (النباتية) إلى هؤلاء الكهنة، ويستندون

فى ذلك إلى شدة ورع ملوك نباتا وإخلاصهم وتفانيهم فى عبادة آمون، وأن بعض هؤلاء الملوك يحملون أسماء مصرية. ولكن لا يمكن الأخذ بهذه الآراء، حيث لا يوجد مايثبت أنم تمكنوا من الوصول إلى الحكم بتكوين أسرة مالكة فيها. أما الذين استدلوا بتشابه الأسماء لبعض الملوك بناباتا مع الأسماء المصرية فقد يرجع ذلك إلى أن بلاد الجنوب (النوبة) قد تأثرت بالحضارة المصرية منذ وقت طويل واصطبغت بها.

ويلاحظ أن شيشنق فى غزواته وحملاته نحو الجنوب والشمال قد دون كل ذلك على جدران معبد الكرنك ضمن أخبار الجزية التى وصلته من النوبة، ويظهر أن الباعث على هذه الحملات هى البحث عن موارد الثروة نظراً لسوء حالة البلاد الاقتصادية.

وما إن تولى (أسركو الثالث) بن (شيشنق الرابع) حتى انقسمت البلاد إلى إمارات متصارعة، وفى نفس الوقت كانت هناك أسرة فى الجنوب استطاعت أن تبسط سلطانها على السودان الشمالى وبلاد النوبة ومصر العليا حتى طيبة، وأشهر ملوك الأسرة النباتوية فى النصوص المصرية (كاشتا)، الذى أخضع البلاد كلها لسلطانه، وهو حسب عدد من المؤرخين مؤسس الأسرة ٢٥، كما يطلق فريق من المؤرخين على هؤلاء النبتاويين إسم (الأسرة الإثيوبية)، ومن الجدير الإشارة إليها بالاسم المشتق من اسم عاصمتها ثبتة أو نباتا (الأسرة النباتوية).

ويلاحظ أن (بعنخى) كان حاكما مطلقا حيث فرض نفوذه جنوبا ونحو جنوب نباتا، وشمالا حتى سوريا وفلسطين وهنا يلاحظ تعايش أسر حاكمة فى زمن واحد، ملوك نباتا الأسرة ٢٥ والأسرة ٢٣ بويسطة و (تفنخت) مؤسس

الأسرة ٢٤ التى سيطرت على معظم الدلتا. وهكذا ظل الصراع بين الأشورية والنباتية فكل منها أراد توسيع نفوذ ملكها والزيادة من أطماعها خاصة فى عهد الملك (شبكا) الذى مد نفوذه نحو الجنوب إلى الشلال الرابع، وكانت الواحات تخضع له أيضاً، ويظهر فى أحد نقوشه وهو يخضع الشعوب الآسيوية والإفريقية.

ويبدو أن النفوذ الأشورى وصل إلى حد الدلتا سواء فى عهد (أسرحدون) أو (أشوربا نيبال)، مما جعل زعيم المقاومة طهراقة يفر نحو الجنوب ويلجأ إلى نباتا، وكذلك فى عهد خليفته (تانويت أمانى) حيث لم يستمر فى مصر طويلا لأن آشور بانيبال عاد إليها ثانية، وأخضعها من حديد ودمر طيبة للمرة الثانية، ففر تانويت إلى نباتاً، ويشير بعد ذلك المؤرخون أن مصر لم تطمع بعد ذلك فى آسيا حتى أنها لم تتدخل حينما حاصرت بابل القدس، واكتفى بكا (نخاو) بترقية التجار وتشجيع الملاحة.

بعثة نخاو: أمر نخاو بعثة فنيقية بالدوران حول إفريقيا، وتعد ربما أول بعثة أو رحلة فى التاريخ، حيث ذكر هيرودوت فى كتابه الرابع الفصل ٤٢ رحلة الفنيقيين حول افريقيا حوالى ٦٠٠ ق م، يعتبرها قصة من نسج الأساطير، حيث أن مثل هذه الرحلة التى يبلغ طولها ١٦٠٠٠ ميل أطول كثيرا من أية رحلة قطعها الإنسان قبل القرن ١٥ م، ولو كانت حدثت بالفعل لما ظل القدماء على جهلهم بشكل إفريقيا، وماقيل عن ظهور الشمس على الجانب الايمن من السفينة على ساحل افريقيا الجنوبى، كان من قبيل الظن ومن اليسير على المصريين الذين كان يستقى منهم هيرودوت معلوماته، وقد سمعوا بمكان شمس الصيف فى

أعالى النيل جنوب مدار السرطان، فإنه من اليسير عليهم الإدلاء بمعلومات لهيرودوت، وبالتالى يشك بعض المؤرخين فى مصداقيتها[1].

إذن تنسب هذه الرحلة إلى عهد نخاو (NEKHO) ٦٠٩ - ٥٩٣ ق م الذى أراد التحقق من إمكانية الدوران حول إفريقيا، فبعث بسفن له جنوبا فى البحر يقودها ملاحون فنيقيون، فعادت أخيرا عبر البحر المتويط ، بعد رحلة للدوران حول إفريقيا، حيث بدأوا رحلتهم من مصر عن طريق البحر الأحمر ومنه أبحروا إلى المحيط الجنوبى وعندما كان يحل الخريف كانوا يلقون بمراسيهم عند الساحل أى مكان تصادف وجودهم فيه، ثم يزرعون بقعة من الأرض بالقمح، وينتظرون حتى يصبح القمح معدا للحصاد، حتى إذا حصدوا الزرع عاودوا الإبحار إلى أن إقتضى حولان كاملان، وفى السنة الثالثة داروا حول أعمدة هرقل وعبروها عائدين إلى مصر، وأعلنوا أنهم عندما كانوا يبحرون حول ليبيا كانت الشمس تطالعهم عن يمينهم، وبهذه الطريقة إستكشفت لأول مرة إفريقيا.

وأهم ما يمكن ملاحظته أن هذا الوصف جاء مقتضبا وخاليا من أى تفصيلات، حول الوصف الجغرافى والبشرى للمناطق التى مر بها البحارة، وربما أخفى الفنيقيون التقرير الوصفى عن الفرعون، وإحتفظوا به لأنفسهم لإستخدامه فى أغراضهم التجارية مستقبلا . وحيث أنه من المعروف أن الفنيقيين كانوا من عاداتهم الإحتفاظ بأسرار نتائج رحلاتهم البحرية لأنفسهم، لكن مهما يكن من مجهود الفنيقيين والذى أشاد به عدد من المؤرخين، منهم الأستاذ جورج فضلو حورانى، فإن الفضل يرجع إلى تخطيط فرعون مصر

(١) THOMSON (J.O.). " A History of Ancient Geography

وإمكانياته التي وضعها في خدمة البحارة الفنقيين الذين إكتراهم لهذا الغرض[1].

وكان هدف فرعون الأساسي من هذه الرحلة هو إكتشاف طريق تجاري جديد يمر بأغلب شواطيء إفريقيا الغربية، بعيدا عن الخطر الفارسي الذي يهدد الشرق الأدنى، إضافة إلى رغبة الفنقيين في تحقيق مصالحهم وإكمال معارفهم فيما يخص إفريقيا وشواطئها لهدف تجاري، وعلى هذا الأساس تحالفوا مع فرعون مصر الذي وفر لهم شروط النجاح أو إنجاح الرحلة الكشفية وبالتالي يجدون طريقا بدلا لطريق شرق المتوسط الذي يتعرضون فيه لمضايقات سفن التجار الإغريق. ولقد أورد عدد من المؤرخين أراءا تختلف في بعض النقاط وتتفق في الأخرى، ومنهم الأستاذ هورنل يرى في بحثه (SEA TRADE IN EARLY TIMES) أنه ما كان من المستحيل على ملاحين فنيقيين مجربين أن يقوموا بهذه الرحلة مثى واتتهم الرحلة وتيارات الماء ولم تخنهم قلوبهم، وأنه مما يدل على صحة القصة إن الشمس تشرق من اليمين في النصف الثاني من الرحلة وإن لم يصدق هيرودوت ذلك.

أما كارل بترز (CARL PETERS) ، وس ، جزال (S . GSEL) فلم يستبعدوا صحة الرواية، ويبقى الأكيد أن للفنقيين من الدوافع التي شجعتهم على تنفيذ هذا المشروع المصري هو ما سمعوه أيضا من التجار العرب عن الذهب الموجود بالقرب من زمبابوي. كذلك أمر نخاو بشق القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر، ولكنه تخلى عن إتمامها لوفاة عدد كبير من العمال،

---

(١) سيد أحمد علي الناصري، " المصريون والعرب وعلاقتهم بإفريقيا في العصور القديمة " .

ولأن الكهنة تنبأوا بأن فائدتها لا تعود إلا على الأجانب، كذلك أرسل خليفته بسماتيك الثاني حملة إلى الجنوب توغلت إلى الشلال الخامس والسادس.

علاقات مصر بشرق إفريقيا فى عهد حكم الأجانب:

أ : *العهد الفارسي :* لقد ظلت علاقة بسماتيك الثانى علاقة طيبة باليونان، وإستعان بهم فى تكوين أسطول ضخم حيث إستخدمه خليفته (أبريس) فى غزو فنيقيا مستغلا إنشغال نبوخذ نصر الملك البابلى فى حروبه مع ميديا، إضافة إلى أن الحالة ساءت فى مصر فى صفوف الجيش نظرا لمحاباته لليونانيين. وهذا فى الوقت الذى إستمر فيه الخطر البابلى، وظهور قوة جديدة هى مملكة فارس التى تحركت جيوشها وعبرت الفرات لتهاجم ليديا فى غربى أسيا، ثم أخضعت كلا من سوريا وفنيقيا أيضا ولم يبق أمامها سوى بابل ومصر، وما لبثت بابل أن هزمت وسقطت عاصمتها نينوى على يد كورش ملك الفرس، وبذلك إزداد الخطر على مصر حيث أصبحت أمام قوة الفرس الكبيرة .

وإستطاع قمبيز من الإستيلاء على مصر، حيث وصل الفرس إلى منف، وغزا قمبيز مصر العليا وأرسل حملة إلى النوبة ويعد مؤسس الأسرة ٢٧ فى مصر، وبعده تولى دارا العرش فى فارس وقضى على الفوضى ووصل مصر سنة ٥١٧ ق م ، ولقد نجح فى حفر قناة وادى الطيلات التى تربط النيل بالبحر الأحمر لكنه يبدو وأن إهتمامه كان مركزا على الإنتقام من اليونانيين الذين

هزموه في معركة ماراتون، كذلك حدثت ثورة في مصر بقيادة خباش في الوقت الذى بدأ يعد العدة للإنتقام من مصر واليونان، لكن توفي وتبعه (إكزركيس) الذى قضى على ثورة خباش، وعين واليا والذى كان حكمه قاسيا، وبالرغم من محاولة أمراء مصر التحالف مع اليونانيين (الأثنيين ، الإسبرطيين) أو الليبيين ضد الفرس إلا أنهم لم يتمكنوا من صد الخطر الفارسى، خاصة وأن الوضع الداخلى مضطرب ومتدهور، ولكن من المؤكد أن حكم الفرس، كما تبين ذلك من بردية كتبت في عهد البطالمة تعرف باسم أخبار الأيام الديموطيقية ، أن المصريين إستاؤوا كثيرا من الفرس وحكمهم [1].

ورغم وضع الإمبراطوية الفارسية سواء في أسيا أو في فارس أو في مصر، فإنهم حاولوا التعرف من خلال موقع مصر الجغرافي على إمتداد مصر الجنوبية (الإفريقية)، والجنوبية الشرقية عبر البحر الأحمر، وهنا يلاحظ أن قمبيز عندما إستولى على مصر ٥٢٥ ق م ، فلقد غدت أرض إفريقيا الشرقية (السودان ، إثيوبيا جنوب مصر) في خطر أمام الخطر الفارسى، حيث قام قمبيز بجيش جرار قاصدا تلك البلاد، إلا أنه لم يلبث أن دخل صحراء الحبشة مبتعدا عن ضفاف النيل حتى أعوزته المؤن فهلك معظم جيشه.

أما داريوس الذى ولى شؤون مصر سنة ٥٢١ ق م فإنه إكتفى بأخذ جزية ضئيلة جدا من الإثيوبيين دون أن يتعرض لهم، فكانوا يرسلون إلى بلاد فارس كل ثلاثة سنوات ٤٨ أوقية من التبر ٢٠٠ قطعة من خشب الأبنوس ... ويذكر هيرودوت أن أحد قواد دار الأكبر (SCYLAX OF CARYNDA)،

---

(١) DRITON (V). "L' Egypte .

٥٢١ - ٤٨٥ ق م قام بحملة طاف أثناءها حول جزيرة العرب إلى مصر، وحفر أيضا بالقرب من الزقازيق وشق وادى الطميلات إلى السويس، ثم أنفذ أسطولا سار فى هذه القناة فالبحر الأحمر قاصدا فارس، وربما سلكت هذه الطريق أيضا سفن قادمة من المتوسط، ففي خلال ثورة مصر صعد أسطول أثينا فى النيل حتى منف .

وأهم ما يمكن ملاحظته هو تزايد النشاط الفنيقى فى العصر الفارسى بالمنطقة ، فكلاهما معاد للإغريق وبالتالى حمى الفرس الفنيقيين ومن ثم شهد القرن الخامس نشاطا بونيقيا غير معهود فى التجارة مع إفريقيا السوداء، حيث قام القرطاجيون برحلات بحرية كبيرة إلى سواحل إفريقيا الغربية، ويروى أن البحار الفنيقى حانون (HANO) كما جاء فى الترجمة الإغريقية لنص فنيقى كان محفوظا فى معبد (بعل حانون) فى قرطاجة، فقد أبحر حول الساحل الغنيقى وربما إلى خليج غينيا، ويرى البعض أن رحلة (حانون) قدتوقفت عند سيراليون الحالية، بينما يرى آخون أنها توقفت عند الجابون أو الكامرون، ولم يكتفوا بتوصيل منتجات إفريقيا إلى أوربا بل أو صلوها إلى الحجاز، حيث يذكر موسكاتى أن مدينة (دادان) العلا كانت مركزا لنقل البضائع الإفريقية التى يجىء بها الفنيقيون، خاصة جلود الماشية والعاج والأبنوس وسروج الخيول .

ومن هنا يرى البعض أنه على الرغم من حكم الفرس (دارا) لمصر فإن العلاقة لم تنقطع مع الجنوب وإفريقيا الشرقية حيث أنه وقبل وفاة ناستاستن ملك النوبة، لم تكن لتخشى بأس مصر التى كانت يحكمها دارا الأكبر ملك الفرس، والذى صرف كل همه إلى إصلاح شؤون البلاد وإزدياد ثروتها

تجارتها، حتى لقبه الفرس (بالتاجر)، فتمكنت مصر بفضل هذا المجهود بأن تدفع ما فرضه عليها من الجزية، دون عناء. ويقول الدكتور بدج المؤرخ الإنجليزى الشهير (أنه لا ريب أن الذهب الذى كانت تدفعه مصر إلى دارا كانت تحصل عليه من وادى العلاقى، حيث كان تابعا إذا ذاك للنوبة ، كانت القوافل تغدو وتروح بين مصر والسودان فى الذهب والعاج والأبنوس، وكثيرا ما كانت تحضر معها كثيرا من السودانيين إلى بلاد مصر).

هذا ما يقوله الدكتور بدج عن علاقة مصر بالسودان (إفريقيا) فى عصر يظهر وأنه لم تعرف فيه عن هذه العلاقة إلا النزر القليل، وكانت مصر تحت حكم أجنبى ولكن بالرغم من هذا لم يستطيع المؤرخ إنكار ما كان بين البلدين من متين الروابط وإتصال. كذلك ما قاله هيرودوت (إن دارا فرض على بلاد النوبة جزية تدفع له ذهبا وعاجا وعبيدا) ، ومن هنا يظهر وأن العلاقة لم تنقطع بين مصر وبلدان الجنوب من زمن الفراعنة إلى البطالمة، وبالرغم من أنه لا يعرف شيء عن السودان فى تلك الفترة إلا إشارات فى بعض كتب القدامى من المؤرخين .

ومن هنا فإنه كانت ثروة الشرق وما تدره تجارتها من أموال طائلة لخزينة الدولة، أن دفعت بالإسكندر الأكبر على التوجه إلى الشرق الأدنى القديم، وكان غزو هذا القائد للشرق الأدنى له ما يبرره، ويمثل فاتحة عهد جديد عهد إستعمارى لتلك المناطق.

ب - فى عهد اليونان (الإسكندر المقدونى) : وهكذا وبعد معركة إسوس سنة ٣٣٣ ق م إنتصر فيها اليونانيون بقيادة الإسكندر الأكبر على داريوس، وفتح باب الشرق أمام الملك المقدونى،

وأمام الحضارة اليونانية التى إختلطت بعناصر حضارية شرقية، فأنتجت ما يسمى بالحضارة الهللنستينية، ومن دراسة فتوح الإسكندرية، نرى أن هدفه من التوسع هو ضرب إحتكار الفنيقيين والعرب للتجارة الشرقية، والوصول إلى الهند وتأمين الحدود الشرقية لإمبراطوريته، وعلى هذا الأساس إتجه نحو:

١. **بناء المدن** : حيث يرى المؤرخون أن الإسكندر بنى المدن لهدف عسكرى بحرى تجارى، من ذلك الإسكندرية التى إعتبرها مخزنا لتجارة الشرق، خاصة وأنه لمس أهمية المواد التى تمر عبر البحر الأحمر بين الشرق الغرب وكذا المواد الأولية التى تستخرج من إفريقيا، والحقيقة أن هذه المدن بمثابة ترانزيت (TRANSIT) ، وهو لم يكتف بذلك بل سيطر على الطريق الرئيسية للتجارة .

٢. **إرسال البعثات الإستكشافية**: وذلك من أجل السيطرة على التجارة ومالكيها ، فقد أرسل بعثة إلى السودان لمعرفة أسباب الفيضان على رأى بعض العلماء، ولكن يعتقد أن هذه البعثة، أرسلت لترى مدى صلاحية الملاحة فى نهر النيل، وذلك لما لمسه الإسكندر من أهمية المواد الأولية التى توجد فى إفريقيا.

ويظهرو أن تقارير الرحلات كانت غير مشجعة ، ورغم ذلك صدرت الأوامر إلى (نيارخوس) (NEARCHUS) للطواف حول شبه جزيرة العرب، لكن الإسكندر توفى قبل إكمال مشروعه فى بابل ٣٢٣ ق م .

جـ - *فى عهد البطالمة* : ومن هنا ترك مشاريعه لورثته فى مصر وهم البطالمة الذين حاولوا إقتسام تركة الإسكندر الأكبر، مع باقى الورثة، حيث عمل البطالمة فى مصر على بناء دولة قوية عصرية تستطيع أن تثبت وجودها على الساحة الدولية والتركيز على إكمال مشاريعه الكشفية فى إفريقيا، حيث بدأ بطليموس الأول بإرسال بعثة إلى جزيرة الزمرد بالبحر الأحمر.

ويظهر بالفعل أن مطلع حكم البطالمة شهد حركة كشفية كبيرة، تمثلت فى البعثات الكشفية الجغرافية والعلمية المكثفة لسواحل البحر الأحمر الجنوبية، صاحبتها فى ذلك حركة كشوفها برية بهدف معرفة الطرق المؤدية إلى أعماق إفريقيا، عن طريق تتبع نهر عطبرة، والنيل الأزرق إلى هضبة الحبشة، لقد كان حرص البطالمة على إقامة دولة قوية تتربع على عرش الممالك الهللنستية أن دفعهم ذلك إلى البحث على المواد الإستراتيجية، مثل الحديد والنحاس والمعادن الثمينة مثل الفضة والذهب، إلى جانب الأخشاب والعاج وحرصوا على أن يكون الميزان التجارى لصالحهم، فكانوا يصدرون إلى إفريقيا السوداء الحاصلات الزراعية والمصنوعات المصرية ، ومن ثم لعبت إفريقيا دورا هاما فى السياسة الخارجية للبطالمة، فقد كانت إفريقيا منشأ ومصدر الفيلة التى لعبت دورا هاما فى تسليح الجيش المصرى وفى التكتيك الحربى لجيوش العصر الهللنستى. ويرجع هوس البطالمة على الحصول على الفيلة الإفريقية إلى الرد على إستعدادات منافسيهم السلوقيين فى الشام والعراق ، الذين كانوا يجدون فى الهند معينا لا ينضب من الأفيال الجيدة، وإزاء هذا التحدى لم يجد البطالمة غير الإعتماد على الفيلة الإفريقية وترويضها، رغم أن كفأتها القتالية لا ترقى إلى مستوى الأفيال الأسيوية. ولقد

كان تتبع روافد النيل هـو أيسر الطرق وأسهلها للوصـول إلى إفريقيـا وتدريـب القبـائل الإفريقيـة علـى طـرق صيدها. ومكافأتهم مكافآت مجزيـة نظـير ذلـك العمل، ومن ثم عاد ذلك بالرخاء على القبائل الإفريقية ، إلى جانب ذلك فـإن البطالمـة أمنـوا طـرق مواصلاتهم البريـة مع النوبة، وبعثـوا بعلمـاء الجغرافيـة وخبراء لبناء الموانىء ولإختيار عدة مواقع لإنشاء مراكز عسكرية، تتجمـع فيهـا الفيلة قبل شحنها في ناقلات خاصة إلى مركز التدريب في منف[1].

وكـان بطليمـوس الثـاني بـالذات مـن أنشط ملـوك هـذه الأسـرة ، ونظـرا للبراعة السياسية التي كان يتحلى بها أوائل ملوك البطالمة، والنشاط الذى كان يبذله التجار اليونانيين، ولذا فإن بطليموس الثـانى إهتم بالأسطول ودفـع بـه إلى البحر، وإهتم بالساحل الإفريقيي الشرقي لجلب الفيلـة، حيـث أنـه إضافـة إلى بناء محطات على هذا الساحل لنقل الفيلة في مراكـب فـى البحـر الأحمـر فقـد أرسـل سـاتروس (SATYROS) لهـذا الغـرض، كمـا أرسـل أو يمـدس (EUMEDES) للسبب نفسه، وقد أنشا هذا محطات لتلك الغاية، ثـم كلـف أرستون (ARISTON) بالتعرف على شواطىء البحر الأحمر، وهناك من يقـول أن بطليمـوس أنشأ مدينـة أرسينوى (السـويس الحاليـة) بنـاءا علـى إقـتراح أرستون (ARISTON)، ثم عاد حفر القناة القديمة التى تصـل البحـر الأحمـر بـالنيل، وبنـى ميناء فيليوتير (PHILOTORA)، وأنشأ بعد ذلك ميناء برنيقـة التى تتصل بقفط (COPTOS) على النيل بطريق بـرى طوله ٢٥٨ ميلا مـزودا بالحاميات ومؤن الطعام، وبنـى ميناء ميوس هورمـوس (٢٤٧ ق م) علـى بعـد ١٨٠ ميلا شمال برنيقة .

---

(١) سيد أحمد علي الناصرى، " المصريون والعرب وعلاقاتهم بإفريقيا في العصور القديمة

ولذلك كانت مصر مركزا للتجارة الوافدة من تلك الأنحاء كلها ، وبلغت بهذه التجارة حدا لم يعهد من قبل حيث إعتبرها عدد كبير من المؤرخين أنها كانت مركزا للتجارة العابرة، فمن بلاد الصومال وشرقا من بلاد العرب وجزر الهند، كان يرد الذهب والأحجار الكريمة واللآلىء والعاج والتوابل والأصباغ، وبعض الأخشاب النادرة...... وكانت هذه السلع تنقل برا من موانىء البحر الأحمر مجتازة الطرق الصحراوية إلى قفط فى وادى النيل ولهذا الغرض وكذلك من أجل النقل الداخلى، كان البطالمة فى الغالب أول من يسر إستيطان الجمال فى مصر على النحو الذى يسهل العمل والكشف نحو الجنوب فى بلاد إفريقيا[1] .

وأدى إهتمام البطالمة بالتجارة فأنشأوا موانىء عديدة على البحر الأحمر، منها أرسينوى وميوس هورموس وبيرنيكى (برنيس) وأدوليس (عدول)، ويذهب صاحب كتاب الدليل الأرتيرى إلى أن هناك أشياء عديدة متصلة بالموانىء التجارية الإفريقية، منها أن بطليموس أنشأ لهم مركز للحصول على الفيلة الإفريقية، وأن أدوليس تتجمع فيها غلات السودان وإثيوبيا فضلا عن المصنوعات (القماش الزجاج ....)[2].

ولقد بلغ إهتمام البطالمة بعد الإسكندر أنهم توغلوا جنوبا، لكنهم لم يتجاوزوا منطقة إلتقاء النيلين الأزرق والأبيض، مما زاد فى توثيق العلاقات بين مصر وإفريقيا الشرقية خاصة وأن بينهم مصالح متعددة ومشتركة وقد تجلى هذا الإهتمام فى عهد بطليموس الثانى الذى إهتم بالشاطىء الإفريقى من

---

(١) سير هارولد، " الهللينية من الإسكندر إلى الفتح العربى " ،ترجمة زكى على .

(٢) نقولا زيادة، " دليل البحر الأرترى وتجارة الجزيرة العربية البحرية " .

البحر الأحمر، وجلب الفيلة وإنشاء مراكزها في إثيوبيا، وتأمين الطرق الصحراوية بالحاميات والمؤن المختلفة، وفتحه القناة القديمة الممتدة إلى النيل، ويرجع البعض أن إهتمامه بالطرق التي تربط وادي النيل بالبحر الأحمر وإنشاء الموانيء على البحر الأحمر، إلى إجتذاب جانب هام من التجارة من هذا البحر إلى هذه الموانيء ولتنقل مباشرة إلى موانيء النيل ومنها إلى موانيء الإسكندرية، كذلك فإن بعض المؤرخين يرجعون نشاط البطالمة الكشفي التجاري نحو إفريقيا الشرقية خاصة في عهد بطليموس الثاني أنه إستطاع أن يحكم صلات المودة بينه وبين ملك النوبة (أوركمين) أو (أرجمينيس) ، فازدادت التجارة بين القطرين زيادة كبيرة بفضل سياسة بطليموس السلمية التي آثرها على سياسة القتال والفتح في ربط المنطقتين، وبها يستولي على ينابيع ثروة إفريقيا الشرقية (السودان). ويذهب عدد من المؤرخين إلى أن أكبر همه كان هو الحصول على مناجم الذهب بوادي العلاقي، ولم يكن ثمة من سبيل إلى ذلك إلا أن يبسط سلطانه على وادي النيل حتى (الدكة) جنوبا، ولم يكن الإقليم الواقع بين (عمارة) و (الدكة) خاضعا لملك ما في ذلك العصر، ويبلغ طوله ١٣٠ ميلا وقد روى مؤرخو اليونان أن البطالمة بسطوا نفوذهم في ذلك الإقليم على مدى نحو مائة ميل[١].

ولم تقف مجهودات بطليموس عند هذا الحد، بل دفعه إهتمامه بأمر السودان إلى إرسال بعثة برية بالطريق الذي تبعه سلفه من الملوك، وهنا يرى بعض المؤرخين أن بعثاته لم تأت بفائدة كبيرة، مما جعله يولي إهتمامه

---

(١) BUDGE. " A History of Egypt From the End of the Neolithic to the Death of Cleopatre ".

بالموانى البحرية القريبة من جنوبى السودان ليتخذ منها طريقا للتجارة مع تلك البلاد، وقد دلت اللوحة الأثرية التى إكتشفها الأستاذ (إدوارد نافيل) سنة ١٨٨٩ عند (باطوم – PITHOM) أو (تل المسخوطة) الواقعة على بعد ١٠ أميال جنوبى بحيرة التمساح، على أن بطليموس أرسل عمارة بحرية جنوب بلاد (خثيثة) بالسودان عن طريق خليج السويس، وأن قائده حمل إليه كثيرا من نفائس تلك البلاد، ولما علم بطليموس بكثرة خيرات تلك الأرجاء وعظيم ثروتها شيد مدينة (EPITHERAS) (إبيثيرات) التى موقعها غير بعيد عن مدينة سواكن الحالية، وإتخذها قاعدة إتصال وتجارة مع جنوب السودان وشرقه، وقد أخذ ضباطه كثيرا من فيلة تلك البلاد وأرسلوها بالسفن إلى مصر.

ويؤكد الدكتور (بدج) الرأى القائل أن الملك بطليموس فى مصر كان مؤيدا ومعترفا به، وخضعت له من قبل بلاد السودان خضوعا تاما ، ودانت له بلاد حملة الرماح والقسي ..... وكذلك فإن هذا الملك كانت نظرته فى الكشوفات بعيدة، حيث أمر أحد قادته (أرستون ARISTON) الذى سبق ذكره بالإبحار من خليج السويس إلى باب المندب مستكشفا الساحل الغربى فى طريقه، وربما كان الغرض من هذا ومن حملة الإستكشاف التى قام بها القائد المذكور ، إعادة الطريق الذى يسلكه سليمان وحيرام ، حيث أن فلسطين وفنيقيا كانتا خاضعتين للبطالمة .

كذلك فلقد ظهر فى هذا العصر الجنوب فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الأول ق م ، موظف يحمل لقب (EPITES ERYTHRAS KAI.INDIKES . THALASSES) ، (المشرف على البحر

الأحمر والبحر الهندى)، وهو ما يؤكد نجاح سياسة بطليموس الثانى والتى سار على نهجها خلفاؤه، وخاصة بعد أن فقدوا إمبراطوريتهم فى بحر إيجه فى أوائل القرن الثانى ق م ، وللإشارة فإنه كان على عهده فى فلسطين عندما كان إقليم جوف سوريا تحت سيطرته موظف يحمل لقب (EPITES LIBANOTIKES) ، (المشرف على إدارة البخور)، ويعرف عن هذا الملك علاقته الخاصة بالملكِ أسركو ملك الهند وكانت تأتيه من النوبة الجزية وأنياب الفيلة وأخشاب الأبنوس والذهب والفضة والحيوانات المتوحشة والطيور المختلفة... ولقد كتب بثوكرتيرس الذى زار مصر فى عهد بطليموس الثانى وقد قربه الملك إليه ، وكتب قصائده ١٤ و ١٥ و ١٧ فى مدح الملك ، حيث جاء فى بعض القصائد العبارات التالية (بطليموس فيلاد لفوس ذو الثراء العريض والملك الواسع و سيد البحار وحاكم الحكمين .... إن ملك الإله واسع وأن عبيده كثيرون، إنه ينزل عليهم من السماء غيثا يروى الأرض فتنبت نباتا حسنا ... بطليموس ملك مصر وبلاد بعض سوريا وليبيا وبلاد الإثيوبيين حاكم كاريا وجزر الكوكلاديس .... ولما لا يكون ؟ إن أسطوله أعظم الأساطيل)[1].

يستدل من هذه العبارة أن بطليموس الثانى بلغت مصر فى عهده أوج عظمتها وإتساعها ، وحققت قسطا كبيرا من الرخاء نتيجة السياسة الحكيمة التى إتبعها بطليموس إزاء العالم الخارجي وعلاقته به، وفى السنوات الأخيرة من حكم بطليموس الرابع فإنه أرسل بعثات كثيرة عن طريق موانىء البحر

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم، " بطليموس الثانى والإحتفال بعيد البطوليمان " المجلة التاريخية المصرية .

الأحمر لقنص الفيلة التى كانوا يستعينون بها فى الحروب، وقد أصلح بناء معبد الدكة بالنوبة الذى بناه أركمين ملك النوبة، وكان بطليموس الثامن (١٤٦ق م- ١١٧ ق م) فيما يبدو حريصا على النهوض بتجارة البحر الأحمر، ففى نقش يرجع إلى ١٣٠ ق م ذكر لموظف مسؤول عن سير السفن وعن الطريق الصحراوى الممتد إلى قفط، ولقد وصل التجار اليونان فى مصر فى تجارتهم حتى ساحل الصومال، وآخرون فى أدوليس مملكة أكسوم، وكذا إلى أوبونى (OPONE) وكانت أهم صادرات هذه المنطقة العاج والجلود والقرفة والرقيق. ويذكر بطليموس كلاوديوس الجغرافى على أن اليونان كانوا فى عصر أنطونيوس أكثر علما بالمحيط الهندى أيام بيريبليوس وبلينى ، فقد أصبحوا يركبون البحر الأحمر على طول الساحل الإفريقى الشرقى حتى رهابتا.

وهنا نخلص إلى ان البطالمة فى مصر عملوا على تنظيم شؤونها وأنشأوا دولة قوية، إذ كانت سيطرتهم التجارية البحرية قد تجسدت فى إزدهار نشاطهم التجارى بشكل كبير، وإمتداد منشآتهم التجارية إلى الشاطىء الإفريقى الجنوبى نحو الصومال والحبشة وجزيرة سوقطرة، حيث حملوا من هذه المناطق العاج ..... العبيد . كذلك حفرهم للترعة التى تصل النيل بالبحر الأحمر وإصلاحهم للطريق الرابط بين قفط (على النيل) وميناء برنسى على البحر الأحمر. إن العديد من الدارسين لهذه الفترة يؤكدون أن حكام البطالمة جميعا إستطاعوا أن ينتهجوا أسلوبا سياسيا راقيا فى المعاملات الخارجية، وتجسد ذلك فى سياستهم التى إهتمت بالشرق الإفريقى سواء من الناحية التجارية أو الكشفية، ويعبر عن هذا الرأى الدكتور (بدج) قائلا (قد ساد السلام العلاقات بين مصر والسودان طوال عهد البطالمة وراجت التجارة،

وكانت القوافل لا ينقطع لها سير دون عقبة في سبيلها إلا ما كان من سطو بعض قطاع الطرق والضرائب الباهضة، التى كان يطلبها أحيانا حكام المدن التى كانت تعرض فيها تلك السلع للبيع).

مما سبق ذكره يظهر وان العلاقات المصرية الإفريقية في عهد البطالمة كانت متينة الروابط، وشملت تأثيراتها جوانب حضارية عديدة، وفتحت الطريق أمام تحقيق علاقات أحسن للحكومات التالية .

رغم ذلك فإن بعض المؤرخين يؤكدون أنه رغم إزدهار التجارة في العصور الأولى لدولة البطالمة، وتأمين التجارة إلى حد ما والقيام بالرحلات والإهتمام بإنشاء الموانىء، فإنه لم يكن لديهم نشاط واسع، حيث بقيت التجارة البرية والبحرية بأيدى العرب. وهذا ما يؤدى بالرومان بعد إحتلالهم لمصر بمحاصرة المد التجارى العربى وتطويقه، بل وتهديد التجارة العربية في عقر دارها. وهكذا يتفق عدد من المؤرخين على ان نهاية عهد بطليموس الرابع (فيلوباتور PHILOPATOR) يعد بداية التدهور المنذر بوقوع كارثة، حيث كان متهتكا وضعيفاو أهمل شؤون الجيش والاسطول، مما فتح الباب أمام أطماع أنطو نيخوس (ANTIOCHUS) ملك سوريا ،، بالرغم من إنتصار المصريين فيموقعة رفح (٢١٧ ق م) حيث كانت الأخطار محدقة بها داخليا وشغل البطالمة خلال القرنين الثانى والأول المشاحنات الداخلية والكوارث الإقتصادية وظهور روما كدولة قوية .

د - *في العهد الرومانى :* لقد دخلت مصر رسميا تحت النفوذ الإمبراطورى الرومانى بعد هزيمة كليوباترة وانطونيوس في ٣١ ق م، حيث اصبح أكتافيوس سيد الشرق والغرب بعد أن ضم

مصر إلى الشعب الروماني [1]. ومنذ أن وصل الرومان إلى السيطرة على مصر شرعوا في البحث عن الوسائل الكفيلة بهدف فرض هيبة الإمبراطورية السياسية والاقتصادية وتطبيق (السلام الروماني) بالسلم والحرب، وأخذت في إخضاع القوى القائمة في البحر الأحمر لسيادتها، حيث إستمرت السيادة الرومانية لا تنافس حتى مطلع القرن الثالث الميلادي عندما بدأت الإمبراطورية تضعف من الداخل، وهذا في الوقت الذي حدثت فيه تطورات سياسية بالمنطقة مثل ظهور دولة اكسوم في الحبشة كمنافس جديد، وظهور الدولة الساسانية في فارس والتي عملت على طرد الرومان من الشرق كله، ولما إنقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين بيزنطة في الشرق وروما في الغرب حاولت بيزنطة إحياء النفوذ الروماني في البحر الأحمر على اساس إستخدام نفوذها كمركز للديانة المسيحية حيث إتخذت من دولة أكسوم قاعدتها المسيحية.

ويؤكد الدكتور سيد أحمد الناصري أن الرومان بدأ إقترابهم تدريجيا بالبحر الأحمر منذ تدمير قرطاجة وكورنثة عام ١٤٦ ق م ، وتحقيق سيادتها على البحر المتوسط كاملة، حيث بدأت تتعامل مع الممالك الهللنستية وتتطلع لنشر نفوذها في دويلات شرق المتوسط، خاصة مصر كهمزة وصل بين البحرين وكان للتغلغل الروماني التدريجي في مصر أثر كبير في تجارة البحر الأحمر التي كانت تمر عبرها، كذلك أدى حصول روما على غنائم الشرق إلى تغيير

(١) هـ . أ . بل، " مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي " ، ترجمة عبد اللطيف أحمد علي.

كامل فى حياة الرومان، إذ بدأت البساطة القديمة تختفى وحل محلها تسابق على الشرق وكمالياته .... وترفه [1].

ويذهب عدد من المؤرخين إلى ان الشعب الرومانى لم يكن شعبا مغامرا بالخيال وحب الإستكشاف بل كل كان شعبا واقعيا يتميز بالعبقرية العسكرية، والقدرة الفائقة على خلق إدارة عملية منظمة، وقوانين معقدة هى التى خلقت الإمبراطورية وحققت (السلام الرومانى) سواء فى ايطاليا أو فى الشرق.

وبفتح أغسطس لمصر وبقيام (السلام الرومانى) ساد بين الرومان ميل شديد إلى الكسب المادى بلا حدود مستغلين النظام الجديد، وكان الدافع لتنشيط التجارة فى البحر الأحمر عقب إستيلاء روما على مصر دافعا ماديا بحتا، وبعكس الحال أيام البطالمة، حيث كان للرومانسية والخيال العلمي وحب المعرفة والإكتشاف دور كبير فى إرتياد مجاهل ذلك البحر. وهكذا بقيام الإمبراطورية وباستيلائها على مصر ورثت روما مشروعات الفراعنة والبطالمة فى البحر الأحمر، وأصبح للإمبراطورية سياسة محددة مع دول البحر الأحمر، حيث رأى أغسطس ضرورة تحويل طريق التجارة فى البحر الأحمر إلى الموانىء المصرية مثل بيرنيكى (الهولس) وميوس هورموس (أبو شعر القبلى) وأرسينوى (السويس) [2].

---

(١) سيد أحمد على الناصرى ، " البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ".

(٢) CHARLES WORTH (M . P) " Trade - Routes and Commerce of the Roman Empire ".

لقد كانت إستراتيجية أوكتافيوس أغسطس في البحر الأحمر تقوم على تشديد القبضة على مصر ، لأنها همزة الوصل بين البحرين الأبيض والأحمر، فضلاً على أن مصر تمتلك مساحات شاسعة من سواحل البحر الأحمر ولذا عمل الإمبراطور أغسطس على تطهير هذه القناة بعد أن أهملت في أواخر عصر البطالمة، حتى يعطى فرصة للتجارة في البحر الأحمر لتجد طريقها نحو الإسكندرية عبر النيل، وهو نفس المعبر الذى قلت أهميته في العصر الروماني، حيث إستخدمت طرق القوافل في الصحراء الشرقية خاصة طريق ميوس هورموس قفط ، التي إعتنى بها أغسطس باعتبارها مستودع لتجميع وتوزيع البضاعة الأتية من ميناء ميوس هورموس ، وميناء بيرنيكى الذى إهتم به أغسطس لوجود عدد من مناجم الذهب ومحاجر الرخام بالقرب منها[1] .

ولقد قام بترونيوس ثالث ولاة مصر بإجراءات هامة ضد النوبيين في الجنوب ، حتى لا يزعجوا الحكم الروماني في مصر وعدم التعرض لتجارة البحر الأحمر خاصة في المنطقة الساحلية الموازية لبلاد النوبة، ولقد أدى الكشف الأثرى إلى التعرف على مدى إهتمام الرومان بهذه الصحراء الغنية الشرقية ، وهى نفس الطرق التى بدأها الفراعنة وطورها البطالمة [2].

ويلاحظ أن الرومان لم يقيموا أية موانىء جديدة على السواحل المصرية على البحر الأحمر ولأنهم وجدوا أن ما بناه البطالمة من موانىء يزيد عن الحد المطلوب، فضلوا التركيز على مينائى ميوس هورموس وبيرنيكى منعا لتهرب من دفع الجمارك لهذا ركزوا جهودهم على تطوير وتحسين هذه

---

(١) سيد أحمد على الناصرى، " الرومان والبحر الأحمر " .

(٢) MUNY (G . W) " Roman roads and Stations in the Eastern Desert of Egypt" .

الطرق وتأمينها تحت إدارة ورقابة حازمة، وتسيير حركة التجارة وتقديم كافة التسهيلات للقوافل التى تحمل عاج إفريقيا وتوابل ولبان بلاد العرب.

كذلك توجد بعض الموانىء الهامة التى لعبت دورا كبيرا فى التجارة، مثل ميناء أدوليس (ميناء زولا قرب مصوع)، وهو الميناء الرئيسى لدولة أكسوم التى كانت فى طور النشوء، حيث كان هذا الميناء مركزا لتجارة الجلود والعبيد والأفيال وهى بالقرب من العطبرة.

وباتجاهنا جنوبا بحذاء الساحل الصومالى نجد عدة موانىء لعبت دورها فى حركة النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى عصر الرومان، مثل ميناء أوبونى (OPONE) فى بلاد الصومال، والذى كان يصدر القواقع الحمراء وأجود أنواع الرقيق والقرفة والحنظل واللبان خاصة ميناء موندوس (MUNDUS). وتحت مظلة (السلام الرومانى).وصل التجار جنوبا حتى سواحل أوغندا، حيث كان ميناء رابتا (RHAPTA) الشهير وهو آخر ميناء عرفة دليل الملاحة، وكانت هذه المنطقة من الساحل الإفريقى تقع تحت النفوذ السبئى الحميرى. ولقد أبدى (نيرون) إهتماما زائدا بالتجارة مع الشرق، والعناية بالطرق التى كانت فى خدمة هذه التجارة، وكان هذا الاهتمام مثار الإعتناء بالبحث العلمى والجغرافى عن الشرق. والذى لم يتوقف منذ إسترابون وصدور دليل الملاحة فى البحر الأحمر بل استمر ولقى التشجيع من قبل الأباطرة.

ومن أجل البحث عن طرق جديدة للتجارة مع الشرق أرسل نيرون بعثة إستكشافية إلى النوبة عام ٦١ م عادت بخريطة مفصلة وتقارير شاملة عام ٦٤ م، وقد قابلت السلطات النوبية هذه البعثة بالترحاب ويسرت لها مهمتها حتى

بلغت النيل الأبيض، إذ كانت هناك علاقات صداقة بين أباطرة الرومان وملوك بلاد النوبة التى ذكر التقرير أنها فى حالة انهيار شديد، ولقد ذكرت آراء عديدة حول أهداف هذه البعثة إلى النوبة، فمنهم من يرى أنه أرسل هذه البعثة تلبية لرغبة الجغرافيين سينيكا وبلينى لجمع المعلومات الجغرافية والنباتية والحيوانية ، ومنهم من يراها تمهيدا لحملة رومانية للاستيلاء على بلاد النوبة، لكن من المرجح أنها استهدفت تحذير أكسوم التى كانت تهدف إلى الاستيلاء على سواحل النوبة المطلة على البحر الأحمر، مما يهدد المصالح التجارية الرومانية خاصة أن ميناء عدول كان مركزا لتجارة العاج، وكذلك دعما معنويا لملوك النوبة الأصدقاء. ويذكر الدكتور سيد أحمد على الناصرى أنه وردت إشارات إلى أطماع أكسوم فى الحبشة لأول مرة فى دليل الملاحة، عندما ذكر مؤسسها المجهول أقام عام ٦٠ م نصبا تذكاريا عند ميناء لذكرى انتصاراته، وروى فيه أنه استطاع بسط سلطانه شمالا من الحبشة حتى حدود مصر الجنوبية، وجنوبا حتى ساحل الصومال، بل ادعى أنه عبر البحر الأحمر واحتل الساحل الجنوبى الغربى لبلاد السبئين ووصوله إلى ميناء ليوكى كومى، ويظهر أن الملك مبالغ فى حجم انتصاراته، ورغم ذلك أثارت قلق الرومان الذين توجسوا خيفية أن يكون هدف ذلك الملك البعيد هو غزو بلاد سبأ والتحكم فى تجارة البحر الأحمر، مما دعا الرومان إلى اتخاذ خطوآت إيجابية، إذ كانت بعثة نيرون إلى النوبة تصرفا منطقيا لاهتمام الرومان المتزايد فى البحر الأحمر وحماية السلام الرومانى من خطر الدويلات المحلية الواقعة على الشاطئين، ووقف أى تغيير فى ميزان القوى العسكرية بالمنطقة، وقد يكون كذلك أن نيرون يهدف من البعثة هو البحث عن مناجم الذهب، لأنه

ان أكثر الأباطرة قلقا على استمرار النزيف للذهب الروماني نحو الشرق، وهذا التفسير يتفق والغرض من حملة بقيادة تراجان فيما بعد على داكيا.

لقد كان تراجانوس من أكثر الأباطرة إهتماما بالتجارة مع الشرق، إذ قام باعادة حفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمر بالقرب من كلوسون عند خليج السويس عرفت باسم قناة تراجانوس، وكان اتساعها يقدر بـ ١٥٠ قدما، وقادرة على استقبال أكبر السفن التجارية في ذلك الوقت، كما كانت القناة ترتبط بمنف عن طريق قناة صغيرة، وبذلك ربطت مصر داخليا وخارجيا بالبحر الأحمر(١).

لقد كانت مصر أغنى ولايات الامبراطورية الرومانية وأهمها استراتيجيا وتجاريا، وكانت ولاية افريقيا تمد الامبراطورية بحوالي خمس ملايين مكيال روماني من القمح، وهو مايعادل ثلث الكمية التي يستهلكها الشعب الروماني سنويا، حيث كتب المؤرخ تاكيتوس بأسلوب ساخر عن انتهاء عصر اعتماد ايطاليا على ما تنتجه من القمح، وبداية الاعتماد على القمح المصري، وقال بالحرف الواحد (.إن إيطاليا لم يصبحا الجدب، لكننا نفضل استغلال افريقيا ومصر، لقد أصبحت حياة الشعب الروماني رهنا بالسفن)(٢).

لقد جاء النشاط التجاري الروماني الواسع استجابة لحاجة عالمية، ومامن شك أن الامبراطورية الرومانية التي وحدت العالم القديم ويسرت الانتقال من اقليم إلى إقليم، كانت أحد أسباب ازدهار التجارة العالمية، وكان من الطبيعي أن تحتل مصر الصدارة في هذه التجارة لموقعها المتوسط الممتاز بين الشرق

---

(١) PHILIP (K.H.). " History of the Arabs

(٢) مصطفى العبادي، " مصر الاسكندر إلى الفتح العربي ".

والغرب، ولامتلاكها سواحل طويلة على طول البحر الأحمر والمتوسط، ولذلك أصبحت الاسكندرية أول ميناء مصرى، حيث يقول استرابون أنه (أكبر مركز تجارى فى العالم بأسره)، ويرجع ذلك إلى أن مصر كانت معدة للقيام بهذا الدور أحسن اعداد بفضل موانئها البحرية خاصة الاسكندرية، ومنذ أن ألحقت مصر بالامبراطورية زادت أهميتها التجارية أكثر كوسيط بين الشرق والغرب، حيث زاد اتصالها بالشرق والجنوب الافريقى فى القرنين الأوليين من عمر الامبراطورية نظرا لاكتشاف الرياح الموسمية فى المحيط بواسطة هيبالوس حوالى القرن الأول ق م، حيث أصبح الاتصال سهلا وسريعا بين الاسكندرية وسواحل البحر الأحمر، اضافة إلى سياسة اغسطس نحو حرية الاقتصاد، إذ خلفت آثارا هامة فى انعاش الاقتصاد وشجع الرومان على الاستثمار الحر فى التجارة، وهذا ماأدى إلى انتعاش حركة الاتصال بين الشرق والغرب، خاصة بين مصر وسواحل افريقيا الشرقية، حيث يؤكد استرابون ان الاتصال زاد مع الهند وخاصة مع الصومال زيادة كبيرة، إذ أصبحت أساطيل كبيرة تصل إلى أقصى إثيوبيا وتعود محملة بأغلى البضائع إلى مصر، مؤكدا على ان تجار الاسكندرية ساهموا بقسط وافر فى هذه الاتصالات فكانت لهم أكثر من ١٢٠ سفينة تجوب ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندى، لا سيما وأن التجار السكندريين لم يلقوا منافسة حقيقية تهددهم، فعرب الجزيرة العربية اتجهوا نحو تجارة القوافل، وبقى تجار تدمر (PALMYRA) الذين شاركوا فى تجارة البحر الأحمر وشكلوا خطرا على الرومان.

وإذ كان الأباطرة الرومان قد اعتنوا بالتجارة وطرقها البحرية وفرضوا أنفسهم بالمنطقة، وتحكموا فى سير السفن التجارية ووضعوا نظاما فى الموانىء ... ، فإن ذلك لا يعنى أنهم وجدوا نفس السهولة فى اتجاههم نحو

جنوب مصر وداخل افريقيا، حيث أن بعض المؤرخين يروا أنه ليس مؤكدا أن أكتافيوس قد اتجه إلى ممفيس ووضع عند بابليون (مصر القديمة) فرقة رومانية أخرى - رآها إسترابون - ولكن اسمها لا يزال مجهولا، ولم ينس الفاتح الجديد أن جنوب الوادى - النيل - مركز عبادة آمون كان معقلا للحركات القومية ضد البطالمة قبله فبعث إليه بفرقة رومانية ثالثة، يرجح أنها فرقة قورينة الثالثة (LEGIO III CYREMAICA) حيث تشير أقدم الوثائق إلى وجود جانب منها فى منطقة طيبة، وعززها بثلاثة كتائب مساعدة رابطت على الحدود الإثيوبية - النوبة - عند سوينى (SYENE) أسوان، ومن المرجح إستنادا إلى وثائق الفترة التالية أنها رابطت عند مداخل إقليم هام كأرسينوى (الفيوم) وهرموبوليس (الأشمونيين) التى كانت محطة جمركية للسلع الواردة من مصر العليا وكبتوس (قفط) وهى نقطة تجمع وتوزيع هامة للبضائع الآتية من موانىء البحر الأحمر (ميوس هرموس ، برنيقى ....) ولمنتجات المناجم والمحاجر بجبال الصحراء الغربية بين النيل والبحر الأحمر، وقد بلغ إهتمام أكتافيوس بالمنطقة الأخيرة أن وضعها تحت إمرة ضابط يحمل لقب قائد برنيقى (PREAFCTUS BERENICE) ، أو قائد جبل برنيقى (PREAFECTUS MONTIS BERENICIDIS) الذى كان يتولى إلى جانب إدارة المنطقة والإشراف على المناجم والمحاجر بمساعدة مشرف (PROCURATOR)، قيادات الحاميات التى وضعت لحراسة هذه المناجم ، وتأمين الطرق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر، لقد حاول الرومان تأمين تجارة الحدود وطرقها محاولين تطبيق سياسة السلم الأغسطى (PAXAUGUSTA)، ورغم تضاؤل دور مصر السياسى بإعتبارها ولاية رومانية فإنه كان لها مركز خاص بين الولايات الرومانية، ومن هنا جاء تأمين الحدود

كضرورة حرص عليها الأباطرة، ويظهر أنه لم يمض وقت طويل على الوجود الروماني بمصر حتى ثار جنوبها عنها، خاصة طيبة حيث يقول إسترابون :

(وقع - أى كورنيللوس جاللوس - فى زمن ثورة قامت فى طيبة بسبب الضرائب)[1]. وطيبة هى إحدى الأقسام الكبرى التى إنقسمت إليها مصر إبان الغزو الرومانى، وثقابل العليا، وسبب هذه الثورة تعسف الجباة أو محاولتهم فرض ضرائب جديدة ولقد وصل هذا الوالى (حسب إسترابون) إلى الشلال الأول ، وأنه إستقبل عند جزيرة فيلة (قصر أنس الوجود) سفراء ملك الإثيوبيين ، ولعل هذا الملك (تيريتيكاس) هو زوج كنداكى (KANDAKE) المملكة الشهيرة التى حكمت النوبة بعده، وأن هذا الملك قبل الحماية الرومانية وتم تعيينة حاكما على (تربا كتنا سفرينوس)*.

من هنا يتبين لنا أن سياسة (أكتافيوس) الرومانية مبنية على عدم توسيع رقعتها بمصر، بل الإكتفاء بخلق مناطق محرمة تعترف فقط بالسيادة الرومانية الإسمية، تجنبا للنزاع مع الدول القريبة منها. ولقد رأى أغسطس ضرورة تحويل طريق التجارة فى البحر الأحمر إلى الموانىء المصرية الواقعة على هذا البحر، مثل برنيقى وميوس هوموس، وكانت بلاد العرب السعيدة وقبائل الصومال (TROGLODYTES) تحتكر التجارة فى هذه المنطقة وحتى أواسط إفريقيا.

---

(١) عبد اللطيف أحمد، " مصر الإمبراطورية الرومانية " .

* - الكلمة يونانية معناها ٣٠ إسخونيوس (SCHOINOS) ، وهذا الأخير يساوى ٦٠ إستاديون (STADION) وهو يساوى ١٨٥ م أى أن الكلمة تؤدى معنى المسافة المذكورة بطولها ٣٣٣ كلم مربع .

والملاحظة أن مصر الرومانية حاولت الإحتفاظ بالإتصالات التجارية فى المجرى الأسفل للنيل بين مختلف الأقوام فى إفريقيا الإستوائية ، ومراقبة المناجم فى الصحراء الشرقية، يحتمل أن يكون ذلك المجهود قد لقى صعوبات جمة فى سبيل بسط السيادة الرومانية على إفريقيا الشرقية خاصة مناطقها الداخلية، حيث يشير أغلب المهتمين بتاريخ المنطقة أنه لم يكن من السهل الإحتفاظ بسيادتها فى هذه المناطق، وقد يتضح لنا ذلك جليا من الحملات العسكرية ، والتى جردها ولاة روما فى مصر واباطرتها على المنطقة الجنوبية، حيث قامت القوات الإثيوبية بعدة حملات ومناوشات على الحدود، إضطرت كورنيلوس جالوس أول ولاة أغسطس على مصر إلى ان يوجه جهوده التسكرية إلى هذه المنطقة بشكل جدى، وينتهى بوضع المنطقة الواقعة جنوبى الشلال الأول تحت إمرة حاكم يدين بمنصبه وبولائه لروما .

ومما يدل على كثرة الإضطرابات التى تثيرها المنطقة هو عودة كل مرة الإثيوبيين إلى شن الغارات على الحدود، مما يضطر كل مرة الحكام بأن يجهزوا حملة لرد العصاة وحماية الحدود وهى إجراءات لم تكف لردع الإثيوبيين ، وكان لابد أن تتلوها إجراءات أكثر صرامة، قبل أن تستقر الحدود بصفة نهائية، حيث يظهر أن كرنوليوس عندما وصل إلى أسوان فإنه جمع رؤساء النوبة الذين كانوا يقيمون جنوبى وادى حلفا، فأفهمهم ما (لروما) من الحقوق فى تلك المنطقة من وادى النيل، وترك لهم أن يحتفظوا بإستقلالهم، ومن المحتمل أنهم ما كانوا ليحجموا عن مقاتلة الرومان لو لم يبح لهم كورنوليوس الإحتفاظ بما كان لهم من الحقوق والإمتيازات، وقد عثر الكبتن (ليونس LYONS) عند (فيلة) على لوحة مكتوبة بالهيروغليفى والإغريقى والرومانى تنطق بإخماد ثورة فى سنة ٢٩ ق م . ومن هذا نستنتج أن أول

إتفاق عقد بين الرومان وأهالي الجنوب (النوبة) كان في تلك السنة أو التالية، لكن عندما علم أهل النوبة بإنتقال حاكم مصر شرقا إلى بلاد العرب السعيدة إنتهزوا الفرصة وغزوا (طيبة)، وهجموا على الحامية التى هى قريبة من (أسوان)، وإستولوا عليها وإنتزعوا تماثيل قيصر فتولى حاكم مصر الذى قد عين حديثا، وهو (بترونيوس) ، تولى أمر مواجهة النوبيين الذين إضطروا إلى الإنسحاب إلى مدينة (بسلسيس أى الدكة) الحالية وعندما كانت العاقبة وخيمة على النوبيين الذين لم تعضهم دورعهم ورماحهم وقسيهم وسيوفهم عن قلة ضباطهم وسلاحهم، فولوا الأدبار نحو الصحراء وعبروا النهر إلى جزيرة صغيرة فى النيل، فقبض عليهم وأرسلهم إلى الإسكندرية وقتل معظم النوبيين ، وواصل (بيترونيوس) تقدمه جنوبا من مدينة الدكة حتى أريم، وتابع السير حتى (نبتة) عاصمة الجزيرة المروية القديمة ، وإستولى فى طريقه على المدن المهمة، ولم تكن المملكة (كانداس) فى (نبته)[1]. لما وصل بترونيوس إلا أنها أرسلت رسلها فى طلب الصلح، وإطلاق سراح من لديها من الأسرى ، وإعادة التماثيل ، فكان جواب (بترونيوس) أن هاجم (نبتة) وإستولى عليها ودمرها، واخذ كثيرا من الأسرى والغنائم، ثم قفل راجعا من شدة الحر، حيث أقام فى (أريم) فرقة من أربعمائة مقاتل، وأرسل ألاف النوبيين إلى قيصر، وبعد رحيل (بترونيوس) عن (أريم) هاجمتها المملكة (كانداس) بجيش قوامه عدة الاف ، لكن (بترونيوس) عاد إليها وأجبر المملكة - كانداس - على إرسال رسلها للصلح، فأرسلهم بدوره إلى (قيصر) حيث حصلوا منه على ما طلبوه، ورفعوا الجزية عنهم، ولقد جاء فيما رواه (بلين) عن تلك البلاد أنها كانت بلاد ذات بأس وشهرة أيام حكم ملكها (ممنون)، ولكنها لم تكن فى

---

(١) محجوب ثابت، " تاريخ السودان القديم " . جريدة الأهرام ، عدد ٢٨ نوفمبر ، سنة ١٩٢١ .

الواقع إلا ولاية مصرية، وكانت جديرة بهذا الوصف إذ كثيرا ما تولى زمامها حكام مصريون .

وفي حكم كلاوديوس (٤١ - ٥٤ م) قام الرومان بمشروعات كثيرة كتوطيد ترويج التجارة، وغزو نيرون لإثيوبيا بهدف السيطرة على حاصلات البلاد، وتعجب بعض المؤرخين أن الرومان حتى ذلك الوقت لم يعلموا إلا النزراليسير من جغرافية بلاد السودان (إثيوبيا) وإلا لأدركوا أن أثمن ثروة البلاد كائنة في دارفور وكردفان والإقاليم حول النيل الأبيض والأزرق بينهما، رغم أن (نيرون) أرسل قبل أن يقوم (بغزو النوبة) بعض ضباطه مع الجنود ليرتادوا البلاد، ويرفعوا إليه تقريرا عن أحوالها، إلا أنهم عادوا بأن ليس على ضفاف النيل إلا أرض بلقع، على أن ما عادوا به من معلومات عن البلاد الجنوبية (السودان ...) لا تخلوا من أهمية، فقد مروا ببلاد عديدة حتى مدينة (مروى) وتابعوا السير حتى وصلوا إلى منطقة قالوا عنها أنهم رأوا الصخور فيها تعترض النهر حيث يندفع بقوة هائلة، ويأخذ عما رووه: (أنهم وصلوا إلى اقليم تغمره مستنقعات عظيمة قد نبتت فيها اعشاب كثيفة، جعلت الملاحة مستحيلة في تلك المنطقة)، ولو قارنا بين ما وصفوا به منطقة المستنقعات التي وصلوا إليها، وبين ما وصف به (السير وليم جارستن) مستنقعات بحر الجبل، لما خامرنا شك في أنهم وصلوا إلى جزء من وادى النيل يخترقه هذا البحر (بحر الجبل)، ويتأسف الدكتور الأثرى الإنجليزى (بدج) لأن كثيرا من التفاصيل التي ذكرتها البعثة الرومانية الكشافة لم يصل إلينا، ولكن لا جدال في أن ما ذكروه من أوصاف منطقة المستنقعات لم تبن إلى على مشاهدتهم الشخصية.

لكن رغم قدرة الرومان في السيطرة على الوضع بالنوبة إلى حد ما ، فإن القبائل المعروفة برجال أو قبائل التلال كما كان يسميهم قدماء المصريين بدأوا في اوائل القرن الثالث بمهاجمة مصر الجنوبية، ونزلوا بأرض الواحة الخارجية وكان الإغريق والرومان يسمونهم البلميين (BELIMMYES)، ويذكر المؤرخون أن هؤلاء القوم من أصل حامي نزلوا بالصحراء الشرقية متنقلين فيها شمالا وجنوبا مرتادين الكلا والمراعي لإبلهم وماشيتهم، وتعرف تلك القبائل عند الكتاب العرب (بالبجة أو البجاة) ، ومنهم قبائل البشاريين وقد إنظم إليهم عدد كبير من زنوج منطقة (مروى) ، ونزل كثير منهم بالصحراء الغربية وإنتشروا حتى كردفان ، وقد حالفت تلك القبائل طيبة للوقوف في وجه بمصر، وقد إشتهر أهل تلك القبائل بشدة بأسهم وغلظة طباعهم وبطشهم بالقوافل وسلبهم متاعها، وفي حوالي سنة ٢٥٠ م إشتد ساعدهم بصعيد مصر، وإعتدوا على مدائنه وقراه نهبا وسلبا ، إلى أن ثار ضدهم (ماركوس يليوس) (MARCUS JULIUS) سنة ٢٦١ م وردهم إلى الشلال الأول، لكنهم عادوا إلى الإعتداء على مدائنة في عهد كلاديوس الثاني (CLAUDIUS II). وتؤكد الوثائق ومؤلفات القدماء من اليونان والرومان أخبار الصراع المرير بين الرومان في مصر والبلميين (البجة) ، حيث إتخذوا مدينة كلابشة بالنوبة السفلى عاصمة لهم ، ومازال سلطانهم يعظم خاصة وأنهم تلقوا مساعدة من قبائل إبن ملكة النوبة وأهل مصر الناقمين على الحكم الروماني، حتى رسخت أقدامهم وثبت سلطانهم بمصر العليا في حكم (أورليان OURELIAN , ٢٧٠ - ٢٧٥ م) الذى شن عليهم حملة شديدة وأرسل عددا من أسراهم إلى روما لكنه لم يقبض على سلطانهم، وبمقدم (ريبوس) فإنه عجز عن إخراجهم من مصر العليا، لاسيما وأنهم إتحدوا مع

قبائل الشرق والغرب، ولم يتمكن من السيطرة إلا على مدينة (قفط) مركز تجار الشرق في تلك الفترة.

وفي أوائل حكم دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)* إزداد نشاط البجة ، حيث كانت مصر تعاني من هجمات هذه القبائل في الجنوب، رغم التعزيزات الأمنية التي قام بها في أسوان أو في المدن القريبة منها، ولم يكن في ذلك الوقت قادرا على إرسال جيش نحو الجنوب (السودان ، النوبة ...) لمقاتلة تلك القبائل، فاستقر رأيه على سحب الحاميات الرومانية، وأن يعهد بحماية مصر العليا ورد عادية (البجة) إلى قبيلة (نباكا)، وهي ذات بأس شديد، يرجع اصلها غالبا إلى دارفور وكردوفان ، وإمتد نفوذها حتى الواحة الخارجية، وكانت بيدها تجارة الجنوب كلها، ويرى أحد المؤرخين أنه كان لأهلها من البأس والخشونة وصولة القتال ما جعلهم خير أنداد لأهل البجة ، وهم سلالة قبائل (منيتو) أو البقارة الذين القوا الرعب في قلوب الفراعنة، وكانت خطة ديقليديانوس أن إقتطعهم أرضا واسعة ، ورتب لهم مالا كثيرا سنويا في مقابل حراستهم لبلاد مصر، ورد عادية البجة عن مدنها وأهلها، في نفس الوقت عقد معهم (البجة) إتفاقا بأن يدفع لهم مبلغا سنويا نظير كفهم عن الإعتداء على مدن مصر العليا ولما تم ذلك شيد حصنا على جزيرة قريبة من (الفيلة) ، وأقام فيه معبدا يجتمع مواثيقها على يد قساوسة من الفريقين . والملاحظ أن البجة وامثالها كانوا يعبدون في فيلة الآلهة إيزيس وأوزيريس ، وبرباوس ... ويرجح أن سياسة ديقلديانوس كانت حكيمة في تلك الظروف، حيث أدرك بدهائه

---

* توفي واعتزل سنة ٣١٦ ميلادى .

أن أفضل سبيل للإطمئنان على أرض الجنوب من مصر، هو بإيغار صدور قبائل الغرب على قبائل الشرق، ومبالغ مالية مناسبة يدفعها سنويا لتلك القبائل .

وقد ساد السلم في مصر و وفت تلك القبائل بعهودها قرابة مائة سنة، لكن البجة في أواخر عهد ثيود وسيوس الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م) غزوا مصر العليا واستولوا على الواحة الخارجة وهزموا جنود الرومان بها، وفي حكم الإمبراطور ماركيانوس (٤٥٠ - ٤٥٧ م) جمع ماكيسمانوس قائد الرومان العام بمصر جيشا جرارا وسار به جنوبا حتى حل بأرض البجة ونبتة وأرغمهم على رد ما كان لديهم من أشرار، وفرض عليهم غرامة جسيمة كما فرض عليهم تقديم رهائن لضمان حسن السلوك وأن جانب السلم مائة عام مقابل شراطهم وهو الحج إلى معبد إيزيس بفيلة ، وإستعارة تماثيلها من حين لأخر، فأعطاهم ماكسيمانوس ما أرادوا، لكن بعد موته ثاروا ضد روما فأخمد ثورتهم فلوروس حاكم الإسكندرية، وفي أواخر حكم جاستينيانوس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) إنتهى أجل إتفاقية ماكسيمانوس، حيث حاولوا الثورة فصب جاستينيانوس جام غضبه وأغلق معبد فيلة بدعوى أن وجوده كان مركزا للدسائس والفتن ، وحمل ما كان بالمعبد من تماثيل إلى القسطنطينية وزج بقساوسته في أعماق السجون، ورغم ذلك فلقد عادت هذه القبائل إلى مناوأة مصر أيام حكم تيبيريوس الثاني (٥٧٨ – ٥٨٢م) ، لكن قائد جيش الرومان أخمد ثائرتهم، وبعد ذلك إنشغل الروم برد عادية الفرس وتركوا قبائل الغرب والشرق تحكم نفسها .

ويبدو أن مسار التجارة والتجار خاصة السكندريون إستنادا إلى عدد من المؤرخين، أنهم حافظوا على مراكزهم التجارية في العصر البيزنطي في

إفريقيا، فلقد إستمر الإتصال مع بلاد الصومال وإثيوبيا دون إنقطاع، ويبدو أيضا أن النشاط الذى أبداه الإثيوبيون كوسطاء فى التجارة الشرقية لم يؤثر كثيرا على نشاط الإسكندرية فى هذا المجال، لكن من المؤكد أن توجه الطرق التجارية قد إتجه نحو البحر أكثر منه إعتمادا على البر نظرا لعدم إستتباب الأمن بين الرومان ثم البيزنطيين مع إفريقيا، بل يلاحظ فى أواخر هذه الفترة إهتمام مصرى أكثر بالأتصال البحرى مع القسطنطينية ، العاصمة الإمبراطورية الجديدة منذ ٣٣٠ م .

علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية

(اليمن)

تمهيد

لقد ظل موضوع العلاقات المصرية العربية غامضا ولا يزال ، رغم الكشوفات الأثرية فى كلتا المنطقتين فالتفسيرات تختلف من باحث لآخر، ونفس الشيء لدى الدراسات الأجنبية التى إهتمت بالموضوع، إنه قبل إبراز جوانب العلاقات المصرية العربية يعترضنا سؤالان اساسى فى الموضوع، وهو متى بدأت الهوية العربية تتحدد فى العلاقات الخارجية مع الشعوب والدول المجاورة ؟

تؤكد أغلب الدراسات أنه قبل القرن ١١ والقرن ١٠ ق م لا يكاد المؤرخون يعرفون شيئا واضحا عن أية علاقات خارجية يظهر فيها العرب كمجموعة بشرية لهم هوية محددة، سواء تحت إسمهم العام كعرب أو تحت إسم أخر ينتمى لمنطقة أو لأخرى من المناطق التى تنقسم إليها شبه الجزيرة العربية، وكل ما نعرفه فى هذا الصدد إما إشارة قد تشمل العرب وغيرهم ، أو إشارات قد تشير إلى العرب فحسب ولكن تحت تسميات أخرى ، وفى مناطق ربما نزحوا إليها من موطنهم الأصلى فى شبه الجزيرة العربية، أو ذكر لأقوام من شبه الجزيرة العربية كانت لهم تحركات فى مجال هذه العلاقات، ولكنهم إما يدخلون تحت الصفة السامية العامة، وإما يلتقون حول هوية جماعية يكاد

يقتصر نصيبها من الصفة العربية علـى انتمائها للمنطقة، والتـى أصبحـت تسـمى فيما بعد بلاد العرب[1].

وعلى سبيل المثـال فإن النقـوش المصريـة القديمـة طـوال عهـد الفراعنـة ابتداءا من الالف الثالثة ق م، وحتى الغزو الفارسى لمصر فـى أواسط الألـف الأولى ق م، لا تـرد فيهـا لفظـة عـرب (ع ر ب) أو (أ ر ب) أو أية لفظـة أخـرى قريبـة مـن هـذا النطـق، رغـم وفـرة هـذه النقـوش وغزارتها، ورغـم كـثرة أسمـاء الشعوب التى وردت ضمن هذه النقوش ممن احتكـت بهم مصر فـى صورة أو أخرى فى المراحل العديدة التى مر بها تاريخها فى هذه الفترة، التـى تشكل التخوم الشمالية لشبه الجزيرة العربية، فى صورة متعددة من العلاقات السياسـية التجارية أو العسكرية وكل ماتحضى به من اشارات فـى النقـوش المصريـة فيمـا يخص الموضوع الذى نحن بصدد الحديث عنه.

هـو تسـميات عامـة مثـل تسـمية (عـامو) أى الآسـيويين، أو (تاعـامو) أى ارض الاسيويين التـى كـانت تطلـق علـى سـكان ومنـاطق الصحـراء الشـرقية وسورية وفلسطين، والقسم الشـمالى مـن شبه الجزيـرة العربيـة ومثـل (تـا . نـثر) التى كانت تشير إلى الأراضى الواقعة الى شرقى وادى النيل بوجه عام، والتـى كـان مدلولها يتسـع باتساع معرفـة المصريـين بالمنـاطق التـى تشـملها هـذه الاراضى ونشاطهم فيها، حتى تشمل فى عصر الدولة الحديثة المناطق الممتدة شرق مصر عبر المنطقة السورية حتى شمال العراق ومن ثـم كـان مـن ا لممكـن أن يضم لامتدادات شبه الجزيرة العربية[2]

---

(١) لطفى عبد الوهاب يحيى ، " العرب فى العصور القديمة

(٢) Breasted . " A history of Egypt

ويؤكد الدكتور لطفى عبد الوهاب يحى أن الألفاظ المحددة التى وردت فى هذه النقوش، والتى قد تشير إلى بعض المجموعات العربية، فهى الاخرى لا تعطينا صورة مباشرة فى هذا المجال، فلفظة (حبسيتو) التى ترد ضمن نقوش الدير البحرى (فى صعيد مصر) اثناء وصف البعثة المصرية التجارية التى وصلت فى عهد حتشبسوت (أواسط الألف الثانى ق م) إلى بلاد بونت على أنها نطق مصرى لكلمة (حبشات) وهى إسم قبائل ذات أصل عربى جنوبى، كانت تسكن منطقة (مهرة) فى جنوب بلاد العرب، وهاجرت إلى الساحل الإفريقى للبحر الأحمر وإستقرت فى المنطقة وأعطتها إسمها (الحبشة)، ولفظة (جنبتيو) التى تصف جماعة جاؤوا إلى مصر فى عهد تحوتمس III (١٤٩٠ - ١٤٢٦ ق م) تحمّل إليهما هدايا من الصمغ العطرى ومن البخورو يرجح نفس الباحث أنها تشير إلى (القتبانيين) ، إحدى القبائل التى كانت تقطن العربية الجنوبية فى العصور القديمة .

ولكن فى القرن العاشر والقرون التى تليه بدأت تشهد تطورا محسوسا فى هذا الصدد، فمنذ ذلك القرن بدأت الهوية المحددة للعرب بشكل واضح فى العلاقات مع الشعوب المتواجدة بالمنطقة المجاورة لشبه الجزيرة العربية مثل العبرانيين والأشوريين والبابليين والفرس[1] .

وحقيقة هذه الهوية قد لا تظهر كتسمية للعرب ، إنما تظهر بشكل إستنتاجى إنتسابا إلى مكان أوآخر ، أو قوم أو آخر من الأماكن والأقوام التى وجدت فى شبه الجزيرة العربية مثل سبأ والسبئيين ، سواء أكان المقصود هو

---

(١) عبد المنعم عبد العليم سيد، " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها فى النقوش القديمة فى مصر
.

سبأ الموجودة فى جنوبى شبة الجزيرة العربية، أو أحد مستوطناتها فى الشمال التى إتخذت الإسم نفسه ، مثل الدادنيين (أهل منطقة دادان - العلا الحالية) كذلك فإن الحالات التى تتخذ فيها هذه الهوية صورة تسمية مباشرة للعرب أو بلاد العرب، فإن هذه التسمية لا تعنى لغويا أكثر من البدو أو البادية التى يسكنها البدو .

جنوب شبه الجزيرة العربية أرضا وطبيعة

يشغل جنوب شبه الجزيرة العربية منطقة واسعة عرفت بإسم التربية الجنوبية أو العربية السعيدة، واكثرها شهرة إسم اليمن السعيد، ولقد إختلف الأخباريون فى تفسير مدلول اليمن وقد ورد إسم اليمن فى نصوص سبأ القديمة بإسم يمنات ويمنت، وبديهى أنه إشتق من يمنت ، ولعل تعنى الخير، فلقد أكدت دراسات عديدة أنها كانت كثيرة الأشجار والثمار والزروع حتى عرفت بإسم اليمن الخضراء، وبلاد السمن عرفت عند اليونان بإسم بلاد العرب السعيد (ARABIA . FELIX)لكثرة خيراتها ومحصولاتها الزراعية، وتجارتها الرابحة[1] .

أما الأخباريون فقد إختلفوا فى تفسير مدلول اليمن حيث ذكر بعضهم أن اليمن سمي يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه وذكر لبن عباس أن اليمن سميت يمنا لأنها تقع يمين الكعبة وهو التمين، بخلاف الشام الذى سمى شاما لوقوعه شمال الكعبة، ويرد ياقوت على ذلك بقوله : (قولهم تيامن الناس فسموا اليمن

---

(١) سيد عبد العزيز سالم ، " دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام .

فيه نظرا لأن الكعبة مربعة ، فلا يمين لها ولا يسار، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين، وكذلك الجهات الأربعة إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أجلها، فإذا يصح) والمرجح أن تسميتها ترجع إلى كلمة يمنات المذكورة ويحدد بالتالي اليمن السعيد فيما يعرف بجنوب شبه الجزيرة العربية كله حيث تمتد المنطقة على سواحل المحيط الهندي جنوبا، ويحدها البحر الأحمر غربا، والحجاز شمالا، والخليج العربي شرقا ، وهو ما يذهب إليه رأى آخر إلى أن اليمن قطعة من جزيرة العرب. يحدها من الغرب بحر القلزم، ومن الجنوب بحر الهند، ومن الشرق بحر فارس، ومن الشمال حدود مكة، وهذا يتفق مع رأى غلاسير فقد حددها بكل الرقع الواقعة في جنوب الجزيرة العربية، تمتد غبر عسير إلى المحيط الهندي ومن البحر الأحمر إلى الخليج [1].

من هنا يظهر وأن اليمن كان يشمل كل دويلات شبة الجزيرة محل الدراسة (معين ، سبأ ، حضرموت أو سان، قتبان).

والملاحظ أن الإغريق والرومان قسموا شبه جزيرة العرب إلى أقسام ثلاثة:

١ . العربية السعيدة

٢. العربية الصخرية وترجمت بالعربية الحجرية (ARABIA PETREA).

٣ . العربية الصحراوية (ARABIA DESERTA).

---

(١) عدنان الترسيسي ، " اليمن وحضارة العرب ".

ويؤكد د . جـواد على أن هـذا التقسيم يتفق مـن الناحيـة السياسية التـى كانت عليها البلاد العربيـة فـى القرن الأول الميلادى، فالقسم الأول مستقل، والثانى قريب من الرومان، ثـم أصبح تحت نفوذهم، وأما القسم الثالث فهـو البادية إلى نهر الفرات، ولقد أشير إلى العربية السعيدة والعربيـة الصحراويـة فـى الموارد (الكلاسيكية) القديمة، مثل جغرافية (سترابون) ، ويرى بعض العلمـاء أن القسم الأخر وهو (العربيـة الصخريـة) (ARABIA . PETREA) ، هـو مـن إضافة (بطليموس) العالم الجغرافى الشهير، وقد قصد به برية شبه جزيرة سيناء ومايتصل بها من فلسـطين إلى الاردن، فهـو فـى رأى هـؤلاء أحدث عهـدا فـى التسـمية مـن التسـميتين الآخريـين، ولم يـأخذ الجغرافيـون العـرب بالتقسـيم (الكلاسيكى) مع أنهم وقفوا علىَ بعَض مؤلفاتهم كجغرافية بطليمـوس، إلا أن جزيرة العرب عندهم هى العربية (السعيدة) فى اصطلاح أكثر الكتاب الاغريق والرومان.

ومن هنا فالعربية السعيدة ويقال لها (ARABIA - BEATA) فـى الاغريقيـة هـى اكـبر الاقسـام الثلاثـة رقعـة، وتشمل كـل المناطق التـى يقـال لهـا جنـوب جزيرة العرب فى الكتب العربية، كما يفهم من بعض المؤلفات وليس لها حـدود شمالية ثابتـة، لأنهـا كانت تتغير على حسـب الأوضاع السياسية، ولكـن يمكـن القـول أنهـا تبـدأ فـى رأى أكـثر الكتـاب الاغريـق والرومـان مـن مدينـة (هيرونوبوليس HEROONOPOLIS) على مقربة من خليج السويس الحالية، ثم تساير حدود العربية الحجرية الجنوبية، ثم تخترق الصحراء فتتصل بمناطق الأهوار.

وقد أدخل بعض الكتاب هذه الحدود في جنوبها إلى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج، وتمر حدود العربية السعيدة الشمالية بالبادية الواسعة التي هي جزء من النفوذ. حيث عرفت عند الاغريق بـ (EROMOS) وهي امتداد لبادية الشام.

ويلاحظ أن النصوص العربية الجنوبية لم تثبت حدود اليمن، وذكرت في نص يعود إلى أيام (شمر يهرعش) المعروف عند المؤرخين المسلمين باسم (شمر يرعش)، بعد حضرموت في الترتيب على أنها منطقة صغيرة غامضة التحديد.

أما طبيعة بلاد اليمن، فانها تمتاز على غيرها من الأقطار العربية بجبال شاهقة وشديدة الانحدار، وغناها بالمواد المعدنية وصعوبة المواصلات. تتفرع هذه الجبال من سلسلة جبال السراة المشهورة، إلى ثلاثة سلاسل تمتد السلسلة الأولى محاذية منطقة تهامة من الجهة الشرقية حتى تصل إلى الطائف، وتمتد السلسلة الثانية وسط المنطقة الجبلية تبتدىء من الشمال هي: جبال صعدة ثم جبال بلاد الشرفين وجبال حجة، وجبال كوكبان والخيمة وآنس وحراز، وفي الجنوب صعدة، ثم جبال بلاد تعز، وتشمل جبال إب والعدين ... شبام، حضرموت، هذه أهم الجبال بالمنطقة، وبها تقع أشهر المدن ذات التاريخ المجيد مثل: صنعاء، ذمار، يريم وإب، وتعز والبيضاء ... وصعدة وحجة[1].

---

(١) زيد علي عنان، " تاريخ اليمن القديم ".

وتتخلل جبال السراة التى تخترق اليمن مـن الشمال إلى الجنـوب حتى البحر، الأوديـة التى تنساب فيها مياه الأمطار، وتمتد بين الهضاب، ويخـترق الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة ، يظهر وأنها كانت مسايل مياه، وأنها من بقايا أنهار جفت ، وتسيل فى بعضها المياه عند سقوط الأمطار .

ويخـترق حضرمـوت واد الساحل ، يبلغ طوله بضع مئـات مـن الأميـال، ويتألف سطحة من أرض متموجة تتخللها أودية عميقة تكثر فيها المياة الباطنية، وفى حضرمـوت حجـارة بركانية ومناطق واسعة يظهـر أنهـا كانت تحت تأثير البراكين، ويزرع الناس بالمنـاطق حيث يحرفـون الأبار ، إضافة إلى أن هنـاك نهر يقال له نهر حجر أما إقليم ظفار فيمتد من سيحوت إلى حدود عمـان، وهـو هضبة يبلغ إرتفاعها ٣٠٠٠ قدم ، تهب عليهـا الرياح الموسمية، وفـوق جبالها تنمو أشجار الكندر التى إشـتهرت بها بـلاد العرب قبل الإسـلام ، وتشقها طـولا وعرضا أوديـة تكسـوها الأعشاب وتتخللها الأشجار وتوجد بهـا عيون، ويمكـن الحصـول علـى المياه بحفر الأبـار ، وتتـالف أرض عمـان مـن أمـاكن جبليـة وهضاب متموجة وسهول ساحلية، وأكثر حجارتها كلسية وغرانيتية، وفيهـا أيضا حجارة بركانية، والظاهرة أنها كانت من مناطق البراكين، وفى منـاطق التلال عيون ومجارى مياه معدنية أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة، وتوجد بها أبـار فـى المنـاطق المجـاورة للصحـراء وفـى الأقسام الشـرقية مـن عمـان وتتخلـل هضابها وجبالها أوديـة معظمهـا جـاف، وتكـون طـرق المواصلات بين الساحل والأراضى الداخلية ويتميز جوها بكونه حار إستوائى وتتجه الجبال فى عمـان مـن الشـمال الغربى إلى الجنـوب الشرقى، وأعلـى قمة فيها هـى قمة الجبـل الأخضر، ويبلغ إرتفاعها تسعة ألاف قدم، والأراضى المحيطة بهذا الجبل خصبة

وقابلةللإستثمار، وفى عمان مدن قديمة منها (صحار) و.(نزوة) و (دبا) أو (دما) .

أما عن المناخ فإن التقلبات الجوية واضحة فى اليمن وخصوصا المنطقة الجبلية، فالرياح تهب بسرعة والأمطار تنزل بغزارة ، حتى أن بقاع اليمن تتقلب بعد هطول الأمطار إلى سيول جارفة وبحيرات واسعة ، وذلك لإحاطة اليمن بثلاثة بحار، البحر الأحمر غربا ، والبحر العربى وخليج العربى وخليج عمان فى الشرق. فالرياح الحاملة للأمطار على سائر الهضبة، ومعلوم أن اليمن يقع ضمن المناطق الموسمية ، ويبدأ موسم أمطار الصيف من أوائل شهر شباط (فبراير) وتستمر إلى نصف شهر نسيان (أبريل) ، وأما أمطار الخريف فإنها تبدأ من أوائل شهر حزيران (يونيه) وتستمر إلى نهاية شهر أغسطس، ولا يسقط المطر فى الشتاء الذى يبدأ من شهر أيلول (سبتمبر)إلى نصف شهر كانون الأول إلانادرا فى بعض السنين .وتتراوح درجات الحرارة فى منطقة تهامة الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر ما بين ٢٥° إلى ٣٥° فى الشتاء ، ومن ٣٥° إلى ٤٥° فى الصيف ، ودرجة الرطوبة مرتفعة، ودرجة الحرارة فى المنطقة الجبلية فإن معدلها يتراوح ما بين ٣° م تحت الصفر إلى ٢٠° فوقالصفر فى فصل الشتاء ، وما بين ١١° م إلى ٢٧° م صيفا ، وقلة فى الرطوبة بالمنطقة الجبلية .

واليمن تقع فى المنطقة الحارة فى خط عرض ١٤° شمال خط الإستواء، ونظرا لإرتفاع المنطقة الجبلية باليمن عن سطح البحر كجبال النبى شعيب غرب صنعاء ٣٧٥٠ م وإرتفاع العاصمة صنعاء ب ٢١٥٠ م ، فإن المنطقة الجبلية

معتدلة فى الشتاء والصيف وهى منطقة زراعة البن اليمنى المشهور . وفى المناطق المرتفعة تزرع جميع أنواع الفواكه ومنها العنب (٢٨ نوع).

وأخيرا يمكن القول أن طبيعة بلاد العرب، وخصوصا جنوب شبه الجزيرة لم تدرس دراسة علمية مستفيضة شاملة ، رغم قيام بعثات علمية بالبحث والتنقيب، بما فى ذلك الشركات الأجنبية فى مختلف أنحاء المنطقة ، عن طبيعية تربتها للتوصل بذلك إلى إكتشاف ما فى باطنها من ثروات، فأرض الجزيرة العربية أرض واسعة تغطى الرمال أكثر مساحتها، فليس من السهل البحث فيها بحثا علميا عميقا عن تركيبها وتطورها فى كل أنحائها لهذا كان علمنا بهذه النواحى من البحث ضحلا مختصرا فى الغالب .

علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية فى عهد الفراعنة

إن الظاهرة الملفتة للنظر فى موضوع العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وبين مصر فى العصور القديمة خاصة فى العصر الفرعونى، أن عددا من الباحثين يؤكدون أن الإسم المألوف للجزيرة العربية والذى عرفت به قديما هو أحد إشتقاقات المقطع (ع ر ب) أو (أ ر ب) لم يرد على الإطلاق فى النقوش المصرية التى ترجع للعصر الفرعونى نفسه، فطوال ذلك العصر، كان المصريون يطلقون أسماء عامة على سكان المناطق الواقعة إلى الشرق من مصر ومن شمالها الشرقى، مثل (شاسو) ، (منتو) ، (أيونتيو) واكثر الأسماء

شيوعا فى النصوص الهيروغليفية هى كلمة (عامو)[1]، وكانت تطلق على سكان الصحراء الشرقية وسيناء وسوريا وفلسطين وشمال الجزيرة العربية، أى على مايمكن أن يسمى بالعناصر (البدو) السامية، وأقدم كتابة لهذه الكلمة ترجع إلى الدولة القديمة الفرعونية (٢٥٠٠ ق م). ويقول المختصون فى اللغة الهيروغليفية أن كلمة (عامو) كثيرا ماجاءت فى جملة وصفية هى (حريو - شع) بمعنى سكان الرمال، وظهرت كلمة (عامو) بشكل أكثر دلالة على المكان وتقرأ (تا- عامو) بمعنى (أرض بلاد الأسيويين)، وقد أطلقت على المنطقة الواقعة شرق مصر والتى تشمل سوريا وفلسطين وسيناء وبلاد العرب، وأن هذه التسمية كانت ترد أحياناً فى النصوص المصرية كنوع من المقابلة مع التسمية (تا - نحسيو)، أى (بلاد السود) التى تشمل المناطق الواقعة جنوب مصر.

وإزاء عدم وجود إسم خاص بالجزيرة العربية فى النصوص الهيروغليفية وغيرها من النصوص التى ترجع للعصر الفرعونى إتجهت الأنظار للبحث عن مسميات ذات مدلول يتصل بالجزيرة العربية، سواء من ناحية الموقع أو من ناحية التشابه فى الطبيعة النباتية أو التشابه فى ملامح السكان ومميزاتهم الثقافية أو حتى التشابه مع أسماء القبائل والشعوب العربية، وأهم المسميات التى جذبت الباحثين فى هذا الصدد عبارة (تا - نثر) بمعنى (أرض الإله)، وأيضا كلمة (بونت) التى تحدد مدلولها منذ عصر الدولة الوسطى الفرعونية بسواحل البحر الأحمر الجنوبية، التى كان المصريون يحصلون منها على (البخور)، وكان منشأ الإرتباط فى أذهان الباحثين بين هذين المسميين وبين

---

(١) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، " الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها فى النقوش القديمة فى مصر

الجزيرة العربية، أن الجزيرة العربية وخاصة مناطقها الجنوبية إشتهرت بأنها سوق في العالم القديم لتجارة وإنتاج البخور. وهناك إسم آخر ورد على الآثار من عصر الفرعون تحتمس III (الملك لتالي لحتشبسوت) هو (جنبتيو)[1] . وقد أطلقت النصوص المصرية المصرية هذا الاسم على جماعة جاءت إلى مصر في عصر هذا الفرعون تحمل إليه هدايا من الصمغ العطرى ومن البخور، من ذلك النوع الذى ارتبط بمناطق البحر الأحمر (بونت)، وهو الذى كان المصريون يسمونه (عنتب).

وهناك دراسة عميقة لهذا الموضوع للدكتور عبدالعزيز صالح رجح فيها أن يكون هؤلاء (الجنبتيو) من القبائل العربية الجنوبية المعروفة بالقتبانيين. الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة العربية التى اشتهرت في التاريخ القديم بانتاج البخور، فالمقصود إذن بأرض الإله المذكورة سالفاً في النصوص المصرية - خاصة في عصر الدولة الحديثةالمناطق الشرقية التى كانت الجزيرة العربية جزءا منها، وهى في بعض هذه النصوص الجزيرة العربية نفسها كما يرى الدكتور عبدالعزيز صالح.

هذه الأسماء الواردة هى كل ماورد على الآثار المصرية مما يشير إلى نوع من الارتباط مع الجزيرة العربية سواء من حيث الموقع (تا نثر = المناطق الشرقية) أو من حيث التشابه في النشاط الاقتصادى الغالب (تجارة البخور)، أو من حيث التشابه في الأسماء (جنبتيو = قِتبانيون، خبستيو = حبشات، عمو أو عامر = آسيويون)، أما الأسماء التى تشبه المسميات المعروفة

---

(١) GAUTHIER (H). "Dictionnaire des Noms Geographiques Contenues dans les Textes Hierogliphiques".

لجزيرة العرب أو لمناطقها فبعضها يشبه المقطع (ع ر ب) أو (أ ر ب)، وبعضها يشبه كلمة (سبأ)، وبعضها يشبه اسم احدى مناطق تهامة.

ويلاحظ الدكتور عبدالعزيز صالح في دراسته للموضوع من الوجهة الأثرية، أن كل ما كتب من أسماء مصرية قديمة للجزيرة العربية ومناطقها مما دون بالخطين الهيروغليفى والديموطيقى على الآثار المصرية القديمة فإن أغلبها غامض وغير محدد، ويرجع سبب ذلك إلى إنعدام وجود صلات مباشرة بين مصر الفرعونية وبين الجزيرة العربية، وخاصة سكان المناطق الجنوبية منها، وفى رأيه أن ذلك ربما يرجع إلى إحجام المصريين عن الاتصال بجنوب شبه الجزيرة العربية، لصعوبة الوصول إليها بالطريق البرى الشاق عبر الصحراء، وبالطريق البحرى الذى يضطرهم إلى الإبحار فى عرض البحر الأحمر، والتعرض لمخاطر الملاحة التى اشتهر بها البحر، ولا سيما أنه لا يوجد مايدفعهم إلى تجشم هذه الأخطار. فقد كان فى استطاعتهم الحصول على أهم سلعة تنتجها جنوب شبه الجزيرة العربية وهى البخور من المناطق الإفريقية، حيث تتوفر هذه السلعة وحيث يمكنهم الوصول إليها بنفسهم بطريقة المساحلة، أى إلتزام الساحل الإفريقى للبحر الأحمر دون التعرض لخطر الإبحار فى عرض البحر.

غير أنه منذ أواخر العصر الفرعونى، وخلال عصر البطالمة وماتلاه من عصور عندما برز النشاط العربى التجارى فى البحر الأحمر، أخذ التجار العرب يتوافدون على مصر، وبدأنوع من الاتصال المباشر بين مصر وبين الجزيرة العربية، فكان هذا الاتصال من جانب سكان الجزيرة العربية، ويلاحظ هذه الظاهرة بوضوح فى كثرة النقوش العربية القديمة على صخور الصحراء

الشرقية وخاصة على جوانب الطرق القادمة من الموانيء القديمة على ساحل هذه الصحراء، حيث توجد المداخل التى كان يفد عن طريقها هؤلاء التجار العرب مخترقين الطرق القادمة منها والمؤدية إلى وادى النيل.

وأقدم نقش عربى فى مصر يوضح ظاهرة توافد العرب الجنوبيين تجارا على مصر واستقرارهم فيها، هو النقش المدون بالكتابة العربية الجنوبية على تابوت التاجر المعينى (أو الكاهن) زيدإيل، حيث أنه يلقى ضوءا على نشاط العرب فى مصر منذ عصور البطالمة، ويوضح مدى إندماج هؤلاء العرب واتباعهم العادات المصرية (حنط على طريقة المصريين ووضع فى تابوت). وبالتالى فهذا النص يشير إلى النشاط التجارى الذى كان يمارسه العرب فى مصر، وهو تجارة البخور واللبان التى تنتجها جنوب شبه الجزيرة العربية، كما يشير هذا النص إلى أن هذا النشاط كان بالبحر وليس بالبر. وتبين من دراسة النقوش أنها نوعان: نقوش سامية جنوبية (سبئية معينية)، يوجد أغلبها فى الطرق التى تخترق الوديان الجنوبية التى تربط بين النيل والبحر الأحمر مثل وادى الحمامات ووادى عباد، ثم نقوش سامية شمالية أغلبها نقوش نبطية. وتوجد على صخور الطرق فى الوديان الشمالية مثل وادى الحضامى ووادى حمامة أم ضلعة ووادى أم عنب .... ، وتقع النقوش الشمالية على امتداد طريقين رئيسيين هما: طريق ميوس هرموس (MYOSHORMOS) وطريق فيلوتيرا (PHILOTESA) ويبدأ هذا الأخير من الميناء الذى يحمل هذا الاسم (فيلوتيرا)، ومكانه الآن مرسى جواسيس الواقع جنوب ميناء سفاجة بحوالى ٢٢ كلم، وقد أنشيء هذا الميناء فى العصر البطلمى فى موقع ميناء أقدم يرجع إلى الدولة الوسطى الفرعونية، وهو الميناء الذى كشفت عنه بعثة كلية الأداب بجامعة الاسكندرية ، ويمتد طريق فيلوتيرا نحو الغرب مارا بوادى

الحضاضى ووادى حمامة حيث توجد النقوش النبطية، ومنها يتجه إلى قنا على النيل والطريق الأخرى الذى توجد به النقوش السامية الشمالية يبدأ من ميوس هرموس الذى أنشئ فى عصر البطالمة أيضاً، ومكانه الآن أبو شعر القبلى، الواقع شمال مدينة الغردقة بحوالى ٢٠ كلم.

ويبدو أنه كان أكثر أهمية من ميناء فيلوتيرا بدليل كبر حجم الحصن به وكثرة البقايا اليونانية والرومانية به بالنسبة لميناء فيلوتيرا الذى لا توجد به آثار تذكر، وهذا فضلاً عن وجود عدد من المحطات الرومانية المحصنة على طول الطريق القادم من ميوس هرموس والمتجه نحو قنا، ويتفرع طريق ميوس هرموس إلى فرعين، يمر الشرقي منهما بمنطقة أم ضلعة وأم عنب حيث توجد النقوش النبطية، ثم يتجه إلى أم دقال وجبل كلاوديانوس (MONS - CLAUDIANUS)، ثم يلتقى هذا الفرع الشرقى من الطريق بطريق فيلوتيرا بالقرب من منطقة النقوش النبطية فى وادى الحضامى، حيث يكونان طريقا واحدا يتجه نحو قنا والفرع الغربى من الطريق القادم من ميوس هرموس يتجه إلى منطقة بئر قطار، حيث توجد المجموعة الثانية من النقوش النبطية، ويتضح من وفرة النقوش النبطية على جوانب هذه الطرق الشمالية وبالذات الطرق القادمة من ميناء ميوس هرموس أنه يرجع إلى قرب هذا الميناء المعروف فىعصر اليونانى الرومانى باسم لويكى كومى (القرية البيضاء) (LEUKE - KOME) وربما كان يوجد مكان ميناء المويلح الحالى أو أم الخربية، أم غيرها من موانىء شبه الجزيرة العربية.

ولعل هذا مايفسر لنا ايضاً وجود النقوش العربية الجنوبية (المعينية والسبئية) على صخور الطريق الجنوبية مثل وادى الحمامات ووادى

عباد، وقلتها على صخور الطرق الشمالية، حيث أن الموانىء الواقعة عند بداية هذه الطرق على ساحل البحر الأحمر كميناء القصير أقرب إلى مواطن أصحاب هذه النقوش من سبئيين ومعنيين، وحتى سكان العلا التى يرجح انها عاصمة المستوطنة المعينية المعروفة فى النقوش العربية القديمة باسم (معان مصران)، فان أقرب ميناء إليها هو ميناء (الوجه) الواقع قبالة ميناء القصر، ولقد وردت كلمة (معين) أو (المعينى) فى نقش عند بئر منيح، الذى يقع على الطريق القديمة المتفرعة من طريق وادى الحمامات والمتجه جنوباً إلى وادى عباد، ثم ميناء برنيكى القديم الواقع على ساحل البحر الأحمر قبالة أسوان تقريبا[1].

وهكذا حوت صخور صحراء مصر الشرقية أقدم سجلات مباشرة للنشاط العربى القديم فى مصر، وقد مارس سكان الجزيرة العربية هذا النشاط قادمين من بلادهم على البحر الأحمر، وهذا يؤكد ماقاله بعض العلماء بأن المبادرة بالاتصال بين مصر وبين شبه الجزيرة العربية فى العصور القديمة كانت تأتى من سكان الجزيرة العربية لا من سكان مصر، الذين كانت إتصالاتهم المباشرة فى عصر ازدهار نشاطهم وخاصة فى العصر الفرعونى، عندما كان زمام المبادر ة بالنشاط فى يدهم تتجه أساساً إلى الساحل الإفريقى للبحر الأحمر دون ساحله الآسيوى، باستثناء شبه جزيرة سيناء.

ونؤكد أن هناك حقيقة هامة تتلخص فى أن الهجرات بدأت تفد إلى مصر من بلاد العرب منذ الألف الرابعة قبل الميلاد[2]، لأن شبه الجزيرة العربية فيما

(١) حواد على، " المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ".

(٢) محمد بيومى مهران، " تاريخ العرب القديم ".

يرى الخزان البشرى الشهير الذى لم يتوقف عن أن يقذف - كإقليم طرد وكصحراء فقيرة ولكنها ولود- بالموجه تلو ا لموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذأبة وإلى وادى النيل عبر البحر الأحمر أو عن طريق سيناء.

ويلاحظ بحث حديث للدكتور محمد عبدالقادر محمد أن العرب الساميين استمروا فى التسلل إلى مصر على شكل تجار مسالمين وأسرى حرب عبر سيناء مستنداً إلى نصوص تحتمس الثالث وامنحتب الثاني وغيرهما حيث أنها مليئة بالشواهد على ذلك. ويخلص إلى القول إلى أنه منذ العصور القديمة لم يتوقف سيل العرب الساميين إطلاقا إلى مصر، وهم يكونون العنصر الرئيسى من الشعب المصرى[1].

لقد كانت مصالح مصر فى القرن الإفريقى ترتبط دائما بمصالحها فى جنوب غرب الجزيرة العربية فقد أكد عدد من الباحثين أن بلاد بونت التى كان المصريون يتاجرون معها تشمل المناطق الواقعة على جانبي مضيق باب المندب، سواء من الجانب العربى أو الجانب الإفريقى بما فى ذلك جزيرة سوقطرة، كما أن التركيب الاثنولوجى للشعب المصرى ووضع مصر الجغرافى جعلها حلقة وصل بين العنصر السامى والعنصر الافريقى منذ فجر التاريخ، فسكان مصر فى العصر الحجرى القديم الأعلى كانت لهم قرابة مع أجناس شمال غرب افريقيا وفى العصر الحجرى الحديث دخل العنصر السامى ثم توالى توافد المهاجرين إليها من الصحارى الآسيوية العربية واستقروا فى صحراء مصر الشرقية مشكلين حلقة وصل بين سكان الجزيرة العربية وبالتالى

---

(١) محمد عبدالقادر محمد، " العلاقات المصرية العربية فى العصور القديمة ".

الشعوب الافريقية وبالرغم من أن الهجرات العربية القديمة إلى وادى النيل لم تكن شاملة وكافية، فقد كان أغلب سكان مصر من السلالات الافريقية. مع قرابة واضحة بالعناصر الحامية القادمة من غرب افريقيا عن طرق ليبيا[1].

إلا أن العلماء يخلصون إلى وجود اتصال عرقى بين أهل مصر وشعوب افريقيا وسكان شبه الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ، كذلك وأن موقعها الجغرافى جعلها تقوم مقام الجسر الذى يربط بين البلاد العربية وافريقيا، فقد كانت ممرا لموجات الهجرات من الجزيرة العربية إلى الشمال الافريقى، واقدم مثال على ذلك نجده فى هجرة البربر، الذين تدل الابحاث على أنهم تحركوا فى العصر الحجرى الحديث من عمان أو اليمن نحو القرن الافريقى ومنه عبر الصحارى المصرية حتى شمال افريقيا، حيث اختلطوا بشعوبها الافريقية مكونين امتزاجا بين العنصرين الافريقى والعربى، فى المجالات الحضارية اللغوية والدينية، ولقد كان الجغرافيون القدماء حتى منتصف الألف الاولى قبل الميلادى يعتبرون قارة افريقيا جزءا من قارة آسيا، لكن منذ عام ٥٠٠ ق م، بدأوا يفصلون بين هاتين القارتين، فجعلوا صحراء مصر الشرقية الواقعة شرق النيل هى الحد الفاصل بين قارتى آسيا وافريقيا، فمثلاً يعتبر هيرودوت هذه الصحراء ليست جزءا من مصر بل جزءا من الجزيرة العربية، فقد أطلق على خليج السويس اسم الخليج العربى، وجعله الحد الفاصل بين افريقيا وبلاد العرب.

والملاحظ أن دور دول جنوب شبه الجزيرة ا لعربية بدأ يظهر على الساحة الدولية منذ القرن الحادى عشر ق م عندما تدهورت القوتان العظميان

---

(١) سيد أحمد على الناصرى، " المصريون والعرب وعلاقتهم بافريقيا فى العصور القديمة ".

فى الشرق الأدنى وهما مصر وبلاد الرافدين، وعلى إثر ذلك برزت دويلات صغيرة فى شبه الجزيرة العربية فى الازدهار الاقتصادى، معتمدة على التجارة الشرقية والافريقية، والواقع أنه رغم غموض العلاقات المصرية العربية فى العهد المصرى القديم وعدم اتضاح هذه الصلات المباشرة. فإن الدراسات الحديثة أشارت إلى أنه خلال العصر المذكور كان هناك نوع من الصلات غير المباشرة بين الجزيرة العربية، والتى أثرت بدورها فى الحضارة المصرية، ويسمى البعض هذا الاتصال على أنه صورة من صور الظاهرة المعروفة فى تاريخ الحضارات بالانتشار الحضارى (CULTURAL DIFFUSION)، وكان طريق انتقال هذه التأثيرات من مصر إلى شبه الجزيرة العربية أو العكس هو شبه جزيرة سيناء ومنها إلى الطريق التجارى الشهير الذى يطلق عليه المؤرخون (طريق الذهب والبخور)، إشارة إلى أهم السلع التى كانت تنقل عبر هذه الطرق التى كانت تسير بمحاذاة الساحل الآسيوى للبحر الأحمر فى مناطق الظهير الممتدة وراء هذا الساحل، ويمر بالمحطات التجارية التى قامت على جوانب هذه الطريق فى الحجاز واليمن، والواقع أن شبه جزيرة سيناء كانت منذ أقدم العصور بمثابة نافذة للحضارة المصرية القديمة[1]، حيث أن الساميين سكان سيناء نقلوا أسباب الحضارة المصرية، وأصبحوا همزة وصل فى انتقال التأثيرات الحضارية المصرية إلى سائر الساميين فى شبه الجزيرة العربية، إذ انتقلت الكتابة البروتوسينائية إلى هذه المنطقة، وتفرعت منها الأبجدية السامية الجنوبية التى وجد بها أشكال وعلامات هيروغليفية مصرية وذلك رغم تأكيد عدد من الباحثين والعلماء على أن الأبجدية العربية الجنوبية أسبق فى

---

(١) عبدالمنعم عبدالحليم سيد، " الأصول المصرية القديمة وبعض المظاهر الحضارية فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ".

إشتقاقه من البروتوسينائية من الأبجدية العربية الشمالية حيث ظهر في الجنوب خط المسند.

إضافة إلى ذلك فلقد عثر علي موائد القربان المصرية القديمة في مذبح معيني وجد باليمن. كذلك وجدت مذابح بخور يمنية بمصر في سيرابيط الخادم (سيناء حديثاً)، مما يدل على أن المصريين عرفوا هذا النوع من المذابح السامية، وهو دليل في حد ذاته على تأثير سامي في العبادات المصرية في سيناء، ودليل آخر على ذلك هو ظاهرة وجود التطهير والاغتسال في المعابد السامية، عثر عليها في صرواح عاصمة مكارب سبأ باليمن وهو حوض للمياه محاط بأعمدة داخل المعبد، وهو نفس الشكل الذى عثر عليه بمعبد سيرابيط الخادم بمصر والملاحظ أنه لم يعثر على أحواض أخرى بمصر علي غرار الحوض المذكور، وهو مايدعم وجود تأثير سامي (ديني) في العبادات المصرية[1].

ويظهر التأثير المصرى بحوض التماثيل اليمنية، منها التماثيل البرونزية المشهورة (لمعد يكرب) الذى وجد في حرم بلقيس في مأرب، ويرجع للقرن السابع أو السادس ق م. كذلك هناك في اليمن أمثلة من الزخارف المعمارية والصناعية تشبه إلى حد كبير الزخارف المصرية، منها لوحة سبئية مشهورة محفوظة في متحف اسطنبول، وهناك أمثلة عديدة التي تكون في مجموعها أدلة واضحة علي وجود تأثير متبادل. بالرغم ما لحق هذه المؤثرات من تحويل وتعديل من ذلك مكتشفات قرية الفاو في السعودية[2].

---

(١) PETRIE (M.F.)." Researches in Sinai".

(٢) د. عبدالرحمن الطيب الأنصارى، " قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام ".

علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية أثناء حكم الأجانب

الملاحظ أن كلتا المنطقتين شبه الجزيرة العربية ومصر تأثرتا بالصراع الدولي على البحر الأحمر وتفاعلتا معه سلبا وإيجابا حيث سعت الأمم الكبرى القديمة إلى مد نفوذها على المنطقة منذ بداية وصولها إلى المنطقة نظراً لحيويتها وأيضاً بدعوى سيادة الأمن والسلام. ولقد أدى هذا التنافس حول المنطقة إلى نوع من الصراع بين القوى العظمى القديمة حيث تأثرت شبه الجزيرة العربية بهذا الصراع بحكم امتدادها الطويل بين البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي والبحر المتوسط شمالاً. ويؤكد المؤرخون على أن الاسكندر المقدوني قد لفت أنظار العالم إلى أهمية البحر الأحمر وضرورة الكشف عن أغواره وأسراره وذلك بعد أن أتم سيطرته على البحر المتوسط عام ٣٣٢ ق م[1].

لكن قبل مجيء الاسكندر فقد سعى المصريون ألقدماء إلى فرض نفوذهم على البحر الأحمر، ومن الكيانات السياسية المستقلة التي قامت على سواحل شبه الجزيرة العربية وارتبطت بتأثير النفوذ المصرى مثل مملكة معين التي قامت عند مدخل البحر الأحمر قبل القرن الحادى عشر ق م، والتى نشطت حتى أصبح لها محطات تجارية تابعة لها على طول طريق القوافل عبر الحجاز من أهمها مستوطنة معين مصران (دادان) والحجر (مدائن صالح) وبالرغم من أن قوى أخرى نافست المصريين على تجارة البحر الأحمر مثل ـ ومر وأكاد إلا أنها كانت قوى صغرى مفككة متعادية، كما أن اهتمامها كان مرتكزا على الساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية ومن ثم لم تشكل هذه

---

(١) سيد أحمد على الناصرى، " الصراع على البحر الأحمر فى عصر البطالمة ".

القوى خطرا على النفوذ المصرى على الساحل الغربى للجزيرة العربية، ولما تقلص النفوذ المصرى فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر أصبح هناك فراغ كبير فى البحر الأحمر، مما فتح إلمجال واسعاً أمام السياسة التوسعية الآشورية للتوسع بالمنطقة وملء الفراغ، وبالتالى ورثت الامبراطورية الآشورية كل نفوذ مصر فى البحر الأحمر.

ولقد أقام الفراعنة صداقة مع دولة معين كما أقاموا علاقات مع مستوطناتها فى الحجاز و فى دادان (معان مصران: العلا الحالية) ذاتها، وربما كان أيضاً لمصر علاقة وطيدة مع الثموديين وخاصة منذ عصر الدولة الحديثة حيث قام سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م) بتصفية الوجود المصرى فى شمال الحجاز ممثلاً فى الثموديين بسبب وقوفهم ضد آشور، وبعدهم فعلت بابل نفس الخطوة للقضاء على النفوذ المصرى فى شمال الحجاز، ومحاولة مد نفوذها جنوباً على شبه الجزيرة العربية لصعوبة اخضاع منطقة شبه الجزيرة العربية خاصة مد النفوذ نحو الجنوب فان الآشوريين لجأوا إلى الاكتفاء بفرض نفوذهم السياسى المباشر فى هذه المنطقة وذلك باسقاط الحكومات التى تتعاون مع مصر، ومن هنا فان الاجتياح الآشورى لمصر والحجاز أثر على العلاقات العربية المصرية، فضلاً عن التغيير السياسى بشبه الجزيرة العربية، حيث يرى بعض المؤرخين أن المكاربة السبئيين أطاحوا بدولة معين الصديقة لمصر، وقد تم ذلك بتأييد من ملوك آشور، الذين كانوا على علاقة وطيدة بملوك سبأ، والذين كانوا يمثلون مصالح آشور فى جنوب الجزيرة العربية، وكذا فالملك الآشورى سرجون الثانى كان على علاقة حسنة مع أحد ملوك سبأ. ومن هنا فإن سقوط معين فى وقت تلى سقوط مصر على أيدى الآشوريين، ثم قيام حكم السبئيين يؤكد إعتقادنا بوجود صداقة بين مصر

الفرعونية وملوك معين، تماماً مثلما حدث مع الثموديين في الحجاز، وبالتالي ارتباط العلاقات المصرية العربية الجنوبية القديمة بتأثير القوى الخارجية، وتنافسها على المنطقة من حين لآخر. وتتضح قمة هذه العلاقات العربية الجنوبية القديمة المصرية فيما أكده عدد من المؤرخين من أنه تكونت جبهة قوية من المصريين والعرب والبابليين، وألحقت ضربة قاضية بالإمبراطورية الأشورية وهزمت جيوشها وسقطت نينوى عام ٦١٢ ق م .

ومنذ فترة الأسرة الصاوية (٦٦٢ ق م - ٥٢٥ ق م) بدأت مصر تسترجع قواها في محاولة لإسترجاع نشاطها البحري في البحر الأحمر، تجلت في عمليات الكشف الإفريقي المذكور سابقا والإهتمام بجنوب شبه الجزيرة العربية لكن ذلك النشاط لم يعمر طويلا أمام القوى الفارسية الجديدة التي ظهرت في منطقة الشرق الأدنى (٥٥١ - ٣٣١ ق م) ثم ظهور القوى الإغريقية ممثلة في الإسكندر الأكبر وسيطرته على مصر وسوريا ٣٣١ ق م والذي كانت له مشاريع وأطماع في شبه الجزيرة العربية، ولقد كان أيضاً لخلفاء الاسكندر في مصر نفس الاهتمام بمنطقة شبه الجزيرة العربية، فقد اتبع البطالمة أسلوبين فيالعلاقات مع دويلات جنوب البحر الأحمر أولها الوسائل السلمية الحضارية التي تقوم على توطيد أواصر الصداقة والتفاهم المشترك وخلق مصالح نفعية مشتركة، وهذا ينطبق على سياسة البطالمة مع معان مصران، ومع إمارة العرب الديدانيين في الحجاز وملوك الدولة الحميرية في جنوب شبه الجزيرة العربية. والاسلوب الثاني هو استخدام القوة العسكرية لإرهاب كل من يهدد النفوذ والمصالح البطلمية أو يعرض سفنهم للقرصنة وقد فعلوا ذلك مع الانباط الذين كان يسيطرون على الجزء الشمالي الشرقي للبحر الأحمر، وكذلك مع السبئيين حلفاء الأنباط.

ولقد كانت فترة بطليموس تمثل بداية حركة كشوفات منظمة وعلمية لسواحل البحر الأحمر، وكانت أول بعثة قادها ساتروس SATURUS عام ٢٧٨ ق م، وكانت مهمته استكشاف الساحل الصومالى النوبى لاختيار مناطق لاقامة الموانىء، ومحطات صيد الأفيال، غير أن أهم المستكشفين فى حركة الكشوفات فى البحر الأحمر هو أرسطون (ARISTON)، الذى استكشف ساحل شبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالاً حتى باب المندب جنوباً، ومن الواضح أن هدف فيلادلتوس فى ذلك كان فتح الطريق التجارى بين سبأ فى جنوب شبه الجزيرة العربية العربية وخليج السويس فى الشمال، ووضع قدم مصر فى تجارة التوابل والبهار التى كانت رائحة فى ذلك العصر، وتسيطر عليها سبأ ومعان مصران والأنباط، كما كانت بعثة أرسطون تمهيدا لإرسال الأسطول المصرى للتعرف على بعض الموانىء التجارية الهامة الواقعة على ساحل شبه الجزيرة العربية الغربى، وخاصة معان مصران (ديدان العلا)، وذلك فى عام ٢٧٨ - ٢٧٧ ق م، وقد نجح أرسطون بالفعل فى اكتشاف ساحل البحر الأحمر الشرقى وخليج العقبة بالذات، حيث كان يسيطر عليه الأنباط بفضل مينائهم الشهير إيلانا (AELANA) الواقع على طرف خليج العقبة الجنوبى، كما أن ملاحظاته التى دونها أصبحت مرجعا للبحارة والجغرافيين السكندريين، خاصة إراتوسثينيس (ERATOSTHENES)، الذى استمد منها معلوماته من واقع جنوب شبه الجزيرة وحضاراته فى معين وقتبان وسبأ، وربما اعتمد مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر على مذكرات أرسطون فى رحلته. وحرصا من فيلادلفوس على ربط المدن بالموانىء عن طريق تجارة القوافل والمهمات الاستكشافية، خاصة الربط بين طريق وادى الحمامات والنيل عند قفط. (COPTOS) فإنه اعتمد على الجمال كوسيلة نقل وجلبها

من شبه الجزيرة العربية، وقد بدأ لفظ الجمل يتردد في وثائق العصر البطلمي منذ أن ظهر لأول مرة في الاستعراض الكبير بالاسكندرية ابتهاجا بالانتصارات فيلادلفوس وذلك عام ٢٧٩ - ٢٧٨ ق م.

ولقد كان لإهتمام مصر البطلمية باتصالاتها بشبه الجزيرة العربية وشرق افريقيا، أن قامت ببناء عدد هام من الموانيء على البحر الأحمر وفي أماكن مختارة بدقة، ولهذا فإنه عند استيلاء الرومان على مصر لم يجدوا ضرورة لانشاء موانيء جديدة على البحر الأحمر، ولا طرقا جديدة للقوافل عبر الصحراء الشرقية المصرية، لأنهم وجدوا ماحققه البطالمة في ذلك المجال كافيا، وكل مافعله الرومان هو توسيع هذه الموانيء ومضاعفة الخدمات فيها، وتحسين طرق الصحراء الشرقية واعدادها بالآبار ونقاط الحراسة اللازمة.

لكن قبل مجيء الاسكندر فقد سعى المصريون القدماء إلى فرض نفوذهم على البحر الأحمر، ومن الكيانات السياسية المستقلة التي قامت على سواحل شبه الجزيرة العربية وارتبطت بتأثير النفوذ المصرى مثل مملكة معين التي قامت عند مدخل البحر الأحمر قبل القرن الحادى عشر م، والتي نشطت حتى أصبح لها محطات تجارية تابعة لها على طول طريق القوافل عبر الحجاز من أهمها مستوطنة معين مصران (دادان) والحجر (مدائن صالح) وبالرغم من أن قوى أخرى نافست المصريين على تجارة البحر الأحمر مثلسومر وأكاد إلا أنها كانت قوى صغرى مفككة متعادية، كما أن اهتمامها كان تكزا على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ومن ثم لم تشكل هذه

لكن قبل مجيء الاسكندر فقد سعى المصريون القدماء إلى فرض نفوذهم على البحر الأحمر، ومن الكيانات السياسية المستقلة التي قامت على سواحل شبه الجزيرة العربية وارتبطت بتأثير النفوذ المصرى مثل مملكة معين التي قامت عند مدخل البحر الأحمر قبل القرن الحادى عشر م، والتي نشطت حتى أصبح لها محطات تجارية تابعة لها على طول طريق القوافل عبر الحجاز من أهمها مستوطنة معين مصران (دادان) والحجر (مدائن صالح) وبالرغم من أن قوى أخرى نافست المصريين على تجارة البحر الأحمر مثلسومر وأكاد إلا أنها كانت قوى صغرى مفككة متعادية، كما أن اهتمامها كان مرتكزا على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ومن ثم لم تشكل هذه القوى خطرا على النفوذ المصرى على الساحل الغربي للجزيرة العربية، ولما تقلص النفوذ المصرى في القرنين الثاني عشر والحادى عشر أصبح هناك فراغ كبير في البحر الأحمر. مما فتح المجال واسعاً أمام السياسة التوسعية الآشورية للتوسع بالمنطقة وملء الفراغ، وبالتالي ورثت الامبراطورية الآشورية كل نفوذ مصر في البحر الأحمر.

ولقد أقام الفراعنة صداقة مع دولة معين كما أقاموا علاقات مع مستوطناتها في الحجاز و في دادان (معان مصران: العلا الحالية) ذاتها، وربما كان أيضاً لمصر علاقة وطيدة مع الثموديين وخاصة منذ عصر الدولة الحديثة حيث قام سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م) بتصفية الوجود المصرى في شمال الحجاز ممثلاً في الثموديين بسبب وقوفهم ضد آشور، وبعدهم فعلت بابل نفس الخطوة للقضاء على النفوذ المصرى في شمال الحجاز، ومحاولة مد نفوذها جنوباً على شبه الجزيرة العربية لصعوبة اخضاع منطقة شبه الجزيرة

العربية خاصة مد النفوذ نحو الجنوب فان الآشوريين لجأوا إلى الاكتفاء بفرض نفوذهم السياسي المباشر في هذه المنطقة وذلك باسقاط الحكومات التي تتعاون مع مصر، ومن هنا فان الاجتياح الآشوري لمصر والحجاز أثر على العلاقات العربية المصرية، فضلاً عن التغيير السياسي بشبه الجزيرة العربية، حيث يرى بعض المؤرخين أن المكاربة السبئيين أطاحوا بدولة معين الصديقة لمصر، وقد تم ذلك بتأييد من ملوك آشور، الذين كانوا على علاقة وطيدة بملوك سبأ، والذين كانوا يمثلون مصالح آشور في جنوب الجزيرة العربية، وكذا فالملك الآشوري سرجون الثاني كان على علاقة حسنة مع أحد ملوك سبأ. ومن هنا فإن سقوط معين في وقت تلى سقوط مصر على أيدي الآشوريين، ثم قيام حكم السبئيين يؤكد إعتقادنا بوجود صداقة بين مصر الفرعونية وملوك معين، تماماً مثلما حدث مع الثموديين في الحجاز، وبالتالي ارتباط العلاقات المصرية العربية الجنوبية القديمة بتأثير القوى الخارجية، وتنافسها على المنطقة من حين لآخر. وتتضح قمة هذه العلاقات العربية الجنوبية القديمة المصرية فيما أكده عدد من المؤرخين من أنه تكونت جبهة قوية من المصريين والعرب والبابليين، وألحقت ضربة قاضية بالإمبراطورية الأشورية وهزمت جيوشها وسقطت نينوى عام ٦١٢ ق م.

ومنذ فترة الأسرة الصاوية (٦٦٢ ق م – ٥٢٥ ق م) بدأت مصر تسترجع قواها في محاولة لإسترجاع نشاطها البحري في البحر الأحمر، تجلت في عمليات الكشف الإفريقي المذكور سابقا والإهتمام بجنوب شبه الجزيرة العربية لكن ذلك النشاط لم يعمر طويلا أمام القوى الفارسية الجديدة التي ظهرت في منطقة الشرق الأدنى (٥٥١ - ٣٣١ ق م) ثم ظهور القوى الإغريقية ممثلة في الإسكندر الأكبر وسيطرته على مصر وسوريا ٣٣١ ق م والذي كانت له

مشاريع وأطماع في شبه الجزيرة العربية، ولقد كان أيضاً لخلفاء الاسكندر في مصر نفس الاهتمام بمنطقة شبه الجزيرة العربية. فقد اتبع البطالمة أسلوبين فيالعلاقات مع دويلات جنوب البحر الأحمر أوليا الوسائل السلمية الحضارية التي تقوم على توطيد أواصر الصداقة والتفاهم المشترك وخلق مصالح نفعية مشتركة، وهذا ينطبق على سياسة البطالمة مع معان مصران، ومع إمارة العرب الديدانيين في الحجاز وملوك الدولة الحميرية في جنوب شبه الجزيرة العربية، والاسلوب الثاني هو استخدام القوة العسكرية لإرهاب كل من يهدد النفوذ والمصالح البطلمية أو يعرض سفنهم للقرصنة وقد فعلوا ذلك مع الانباطالذين كان يسيطرون على الجزء الشمالي الشرقي للبحر الأحمر. وكذلك مع السبئيين حلفاء الأنباط.

ولقد كانت فترة بطليموس تمثل بداية حركة كشوفات منظمة وعلمية لسواحل البحر الأحمر، وكانت أول بعثة قادها ساتروس SATURUS عام ٢٧٨ ق م، وكانت مهمته استكشاف الساحل الصومالي النوبي لاختيار مناطق لاقامة الموانيء، ومحطات صيد الأفيال، غير أن أهم المستكشفين في حركة الكشوفات في البحر الأحمر هو أرسطون (ARISTON)، الذي استكشف ساحل شبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالاً حتى باب المندب جنوباً، ومن الواضح أن هدف فيلادلتوس في ذلك كان فتح الطريق التجاري بين سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية العربية وخليج السويس في الشمال، ووضع قدم مصر في تجارة التوابل والبهار التي كانت رائحة في ذلك العصر. وتسيطر عليها سبأ ومعان مصران والأنباط، كما كانت بعثة أرسطون تمهيدا لإرسال الأسطول المصري للتعرف على بعض الموانيء التجارية الهامة الواقعة على ساحل شبه الجزيرة العربية الغربي، وخاصة معان مصران (ديدان العلا)،

وذلك في عام ٢٧٨ - ٢٧٧ ق م، وقد نجح أرسطون بالفعل في اكتشاف ساحل البحر الأحمر الشرقي وخليج العقبة بالذات، حيث كان يسيطر عليه الأنباط بفضل مينائهم الشهير إيلانا (AELANA) الواقع على طرف خليج العقبة الجنوبي، كما أن ملاحظاته التي دونها أصبحت مرجعا للبحارة والجغرافيين السكندريين، خاصة إراتوسثينيس (ERATOSTHENES)، الذي استمد منها معلوماته من واقع جنوب شبه الجزيرة وحضاراته في معين وقتبان وسبأ، وربما اعتمد مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر على مذكرات أرسطون في رحلته. وحرصا من فيلادلفوس على ربط المدن بالموانيء عن طريق تجارة القوافل والمهمات الاستكشافية، خاصة الربط بين طريق وادي الحمامات والنيل عند قفط، (COPTOS) فإنه اعتمد على الجمال كوسيلة نقل وجلبها من شبه الجزيرة العربية، وقد بدأ لفظ الجمل يتردد في وثائق العصر البطلمي منذ أن ظهر لأول مرة في الاستعراض الكبير بالاسكندرية ابتهاجا بالانتصارات فيلادلفوس وذلك عام ٢٧٩ - ٢٧٨ ق م.

ولقد كان لإهتمام مصر البطلمية باتصالاتها بشبه الجزيرة العربية وشرق افريقيا، أن قامت ببناء عدد هام من الموانيء على البحر الأحمر وفي أماكن مختارة بدقة، ولهذا فإنه عند استيلاء الرومان على مصر لم يجدوا ضرورة لانشاء موانيء جديدة على البحر الأحمر، ولا طرقا جديدة للقوافل عبر الصحراء الشرقية المصرية، لأنهم وجدوا ماحققه البطالمة في ذلك المجال كافيا، وكل مافعله الرومان هو توسيع هذه الموانيء ومضاعفة الخدمات فيها، وتحسين طرق الصحراء الشرقية واعدادها بالآبار ونقاط الحراسة اللازمة.

ولقد لوح المصريون بالقوة في علاقاتهم مع العرب لضمان مد نفوذهم نحو منطقة شبه الجزيرة العربية وبالتالي الإقرار بالحقوق والمصالح التجارية المصرية بسواحل البحر الأحمر، ومن هنا جاء العمل العسكري المصري الصارم ضد الانباط الذين أزعجتهم حركة إحياء النفوذ المصري في البحر الأحمر على يدى بطليموس الثاني، كما أن حركات الكشوفات المكثفة زادت من شكوك الأنباط خاصة بعد أن تفقد المستكشف أرسطون منطقة خليج العقبة وكان الأنباط ينفردون بتجارة البهار ونقله بين سبأ وخليج العقبة منذ القرن الخامس ق م، حيث يوجد ميناؤهم الشهير إيلانا (AELANA).

لقد كانت علاقة الأنباط ببطالمة مصر علاقة غريبة حسب عدد من المؤرخين، حيث أن الأنباط كانوا يحرصون على التجارة مع مصر البطلمية عبر غزة وسيناء، غير أنهم كانوا يخشون الجانب العسكري لدى مصر التي يفضلون بقاءها مملكة ضعيفة، أو في أحسن الأحوال تحت احتلال من جانب قوى صديقة للانباط، حتى لا تهدد نفوذهم التجاري في شمال البحر الأحمر والحجاز، لأن مملكة البطالمة القوية تشكل في نظرهم تهديدا لمصالحهم في هذه المناطق، ويؤكد أحد المؤرخين تخوفات الأنباط من النفوذ المصري، أنه يتضح ذلك من تجربتهم مع فراعنة الأسرة السادسة والعشرين، خاصة مع الفرعون نخاو الذى حاول استعادة السيطرة المصرية على البحر الأحمر ولهذا السبب ساعد الأنباط الفرس على اسقاط هذه الأسرة واحتلال مصر وذلك ٥٢٥ ق م، وظلوا يحرسون غزة نيابة عن الفرس، وهم الذين تصدوا للأسكندر المقدوني وقاوموه من قلعتهم الحصينة وذلك في عام (٣٣٢ - ٣٣١ ق م)[1]

---

(١)Tarn (W.W.). "Ptolemy II and Arabia. J.E.A.".

وما أن شعر الأنباط بنوايا بطليموس حتى بدأوا يتعرضون لسفن البطالمة في البحر الأحمر، ويلجأون في ذلك إلى أعمال القرصنة التي كانوا يجيدونها، مما دفع بطليموس فيلادلفوس إلى الدخول معهم في معركة حاسمة فجمع قواته البحرية وسفنه الحديثة التي نجحت في ادخال سفن الانباط في مصيدة بحرية ودمرتها عن آخرها وذلك في عام ٢٧٨ - ٢٧٧ ق م . بل حاول احتلال البتراء، لكن يبدوأنه فشل في ذلك واكتفى بالساحل الشرقي للبحر الميت، فحرمهم من ثروة كبيرة وهي استغلال ثرواته وخاصة القار، ومنذ تلك الهزيمة البحرية بدأ الأنباط ينكمشون اقتصادياً وعسكرياً، ولم يجرأوا على التجارة في البحر الأحمر لدرجة أن مدينة جرها أو الجرعاء (GERRHA) على الساحل الشرقي للجزيرة، كانت تمدهم بالبهارات والتوابل عن طريق ساحل عمان لكي تتفادى الطريق البحرى الذى سيطر عليه الأسطول البطلمي، ولم ينس الأنباط هذه الهزيمة أبداً للبطالمة بل ظلوا يتحينون الفرص لإسقاط هذا الحكم، فتعاونوا مع السلوقين ضد البطالمة، ونظراً لخشية فيلادلفوس من خطر الأنباط حصن ميناء أرسينوى (السويس) بالأصوار، وكون فرقة عسكرية من عرب سيناء لتولي الدفاع عن المنطقة ضد الأنباط، وجعل على قيادة هذه الفرقة عربياً عرف بلقب (قائد العرب) أو (شيخ العرب) (ARABARCHES).

أما السلوقيين فلقد تركوا أمر مقاومة النفوذ المصرى بالبحر الأحمر إلى حلفائهم الأنباط حيث شجعوهم على ذلك. في حين يرى مؤرخون آخرون أن فيلادلفوس إستخدم ديبلوماسية الصداقة والمصالح المشتركة، وإقامة علاقات ودية مع المدن التجارية الهامة على ساحل شبه الجزيرة العربية، حيث كانت له اتصالات تجارية مع مدينة ديدان في شمال الحجاز. فلقد كانت

لموقع معان مصران أهمية تجارية خاصة، إذ كانت مركزا لشبكة من طرق القوافل التى تربط بين شبه الجزيرة العربية والعراق والشام، وخاصة مصر لشدة قربها منها ولارتباطها التجارى بها.

وتدل الشواهد التاريخية على أن فراعنة مصر الأقدمين كانت تربطهم علاقات تجارية وحضارية قديمة مع العرب الجنوبيين قبل التدخل الآشورى فى المنطقة، ويؤكد مؤرخون أن الشواهد تدل أيضاً على أن السبئيين ظلوا على عدائهم لمصر حتى طوال عصر البطالمة، ويفقدان مصر للحكم المعينى الصديق فى الجنوب أحيا البطالمة هذه الصداقة مع مستوطناتهم فى الشمال، وهى معان مصران التى بدأت تستقل بنفوذها منذ ضعف حكومة معين فى الجنوب وسقوطها، وأصبح يحكمها ملوك يعروفون باسم ملوك ديدان ومن الأدلة الأثرية والتاريخية على إحياء البطالمة لتجارتهم مع المعينين الشماليين العثور على كتابات معينية من عصر البطالمة وذلك فى مدينة منف وفى مدينة يوهيميريا (EUCHEMERIA) (قصر البنات بالفيوم).

ويذكر بعض المؤرخين أنه يظهر من نقش منف المؤرخ فى السنة الثانية والعشرين من حكم بطليموس الثالث أن جالية معينية كانت موجودة فى منف منذ عصر بطليموس فيلادلفوس، والنقش مثبت فوق تابوت مصرى عثر فى داخله على مومياء التاجر العربى زيد إيل (المذكور)، وكانت أهم البضائع المتاجر بها مع مصر من طرف المعينيين البخور الذى كان يستخدم بكثرة فى الشعائر الدينية واللبان داخل المعابد، وكذلك الأعشاب الطبية وخاصة المر أو الحلتيت، الذى كان لازماً لأعمال التحنيط والعقاقير وكان هذا التبادل مقابل تصدير الأقمشة والمصنوعات وخاصة الزجاجية، ولقد عثر على نقوش فى

جزيرة ديلوس ذات الأهمية الخاصة للعلاقات بين مصر البطلمية والحجاز. ويلاحظ بعض المؤرخين أن اللحيانيين كانوا يمقتون الأنباط الذين نافسوهم في تجارتهم ويهددون استقلالهم،ويبدو أن إندماجا تم في القرن الثالث ق م، وبين المعينيين في الشمال واللحيانيين ويرى بعض الباحثين أن مملكة لحيان قامت بتشجيع من البطالمة وبتأييدهم، وأن ذلك تم في عصر بطليموس الثاني كجزء من مخططه الإستراتيجي لمحاربة الأنباط والسيطرة على البحر الأحمر، ولقد بقيت هذه الصداقة المصرية اللحيانية قوية طوال بقاء البطالمة أقوياء.

ويؤكد بعض الباحثين أن هذه العلاقة لم تتوقف عند المصالح التجارية فقط بل تعدتها إلى الجانب الحضاري والفكري، فقد تأثر ملوك لحيان بالثقافة المصرية الهلسنتية، فقد حمل أربعة أو خمسة من الملوك اللحيانيين لقب (طولماى) (TULMAI) الذى هو بكل تأكيد التحريف العربي للفظ بطليموس، اللفظ الذى حملة ملوك الإسكندرية، وأحيانا كتب هذا الاسم بطرق مختلفة في الخط المسند مثل (بتحمي) (PETAHMY) وأحيانا أخرى في شكل (تاخمي) (TACHMI)،ويؤكد هؤلاء الباحثين على أن الألقاب التي حملها اللحيانيون تشابه الألقاب التي حملها البطالمة. فلقد (يطوع) أي (المنقذ) و (الملخص) هو ترجمة للفظ سوتير (SOTER) الذى حمله بطليموس الأول، وهم يعتقدون أن هذا من باب المصادفة. لأنه ترددت أسماء بعض القبائل اللحيانية المعينية، وبعض شخصياتها البارزة في الوثائق المصرية من العصر البطلمي بل إن اسم البخور المعيني أخذ يكسب شهرة في أسواق الأسكندرية، وكان هذا البخور كغيره من سائر أنواع البضائع العربية يأتي عن طريق موانىء الدولة المعينية اللحيانية إلى ميناء أفروديتيس،

والذى يقع على بعد ٥٠ كيلو متر جنوب المدخل إلى خليج السويس بالترب من بير أبو شعر القبلى التى تقع على بعد أربعة كيلو ميترات، ولقد أسس بطليومس هذا الميناء لكى يكون قاعدة بحرية لعملياته ضد قراصنة البحر ولنشر نغوذه فيه.

وكذلك فإن اسم الخيول المعينية الحيانية بدأ اسمها يتردد فى وثاق البردى المصرية من العصر البطلمى ويلاحظ بعض الدارسين أن هناك فراغ فى الدراسات الأثرية، خاصة من حيث المقارنات فى مختلف الفنون، حيث يؤكد عدد من ا لباحثين أن العلاقة وثيقة بين المنطقتين من الناحية الحضارية، ولا شك أن ذلك يتضح عن طريق دراسات علمية مكثفة وجادة، كذلك وجدت عملة مدينة الإسكندرية فى أجزاء كثيرة من بلدان البحر الأحمر وخاصة فى اليمن، وفيما بعد قلد ملوك حمير أصدقاء البطالمة التترادراخما (TETRA DRACHMA) الإسكندرية واتخذها نموذجا لعملتهم، ويعوُد تاريخ الدراخما التى عثر عليها فى اليمن إلى عصر الملك أب يثع الذى وجد اسمه مكتوبا بالخط المسند، ويرجع تاريخ هذه العملة إلى القرن الثالث أو الثانى ق م.

وسجل أيضا أن السبئيين كانوا يلعبون دورا مشابها للدور الذى لعبه الأنباط من مزاحمة النغوذ المصرى بالمنطقة. وتهديد مصالح مصر التجارية فى البحر الأحمر، وذلك منذ أن أعانهم الآشوريون على التغلب على ملوك معين، أصدقاء المصريين، حيث إزداد نفوذ السبئيين التارى فى البحر الأحمر بعد تدهور وسقوط حكم مصر القديم وبدأ إحتلال الفرس لمصر، وهنا يتسائل

بعض الباحثين حول هل أقام البطالمة مستوطنات على ساحل شبه الجزيرة العربية كما فعلوا في شرق إفريقيا؟

يتضح من خلال عدة دراسات جادة أن المصريين لم يحاولوا إنشاء مستوطنات لهم على ساحل البحر الأحمر الشرقي، وفي بلاد العرب قبل عصر بطليموس الذي بدأ فيه البطالمة في الإنتشار والتوسع من نفوذه عن طريق إقامة المدن والحواضر والموانيء في المناطق الإستراتيجية المهمة، وإطلاق أسمائهم أو أسماء أفراد البيت الحاكم عليها.

فإذا كان السلوقيون قد ركزوا إهتمامهم في بناء المدن والمستوطنات حول الخليج العربي وعلى ضفاف الفرات وعلى سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية، حيث منطقة الثراء التجاري، وكذلك على الساحل السوري وشمال بلاد الشام عند طرق التجارة والقوافل، فان البطالمة ركزوا إهتمامهم على سواحل البحر الأحمر، والملاحظ أن كلتا الدولتين حاولتا صبغ مناطق نفوذه بالحضارة الهللنستية.

ولا يزال علماء الآثار والتاريخ يبحثون عن موقع ميناء أمبيلوني البطلمي فهناك من يرى أنها كانت تقع بالقرب من ينبع الحالي في شمال الحجاز. بينما يرى آخرون أنها كانت بالقرب من ميناء جدة الحالي وبالقرب من مدخل وادي حمد، حيث يسهل الوصول عن طريق البر إلى ديدان وبحرا إلى ميوس هورموس قاعدة البطالمة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، ويلاحظ كذلك حرص فيلادلفيوس على نشر نفوذه على ساحل الحجاز القريب من ديدان من أجل تأمين مينائه الجديد. ولتأمين حركة الملاحة بين هذا الميناء

الجديد أمبيلونى وبين ميناء ميوس هورموس (MYOS HORMOS)[1]، وبينه وبين ديدان، إضافة إلى أن البطالمة أقاموا ميناء آخر قرب العقبة، أسموه (بيرنيكى) (BERENIKE). وذلك للحد من نشاط ميناء إيلانا (ALEANA) التابع للأنباط.

ونخلص إلى أن بطليموس الثانى أكثر البطالمة إهتماماً ببلاد العرب، وأنه سعى لكسب صداقة ملوكها بالوسائل السلمية والدبلوماسية، والتبادل الثقافى والاقتصادى. وذلك لتمتين علاقتهم بمصر، ويلاحظ أنه نتيجة لهذه السياسة الحكيمة التى جمعت بين الدهاء السياسى والقوة، نجح بطليموس الثانى فى تحويل جزء من تجارة البهار والبخور فى البحر الأحمر إلى ميناء أمبيلونى الجديد لصالح حليفة البطالمة. الدولة المعينية اللحيانية التى ربطها بحريا بخط ملاحى دائم الحركة، يربط بالموانىء المصرية على الساحل المصرى للبحر الأحمر، مما ألحق ضربة اقتصادية بالسبئيين وحلفائهم الأنباط.

من هنا تتضح درجة حرص مصر على ربط الحجاز بسياستها فى المنطقةالعربية، وبالتالى نجاح السياسة البطلمية والتىبلغت فى عهد بطليموس الثالث (٢٤٦ - ٢٢١ ق م . والذى يلقبه المؤرخون بـ (نابليون مصر)، حيث يذكر بعض المؤرخين أن حلفاءه من المعينيين ساعدوه فى إجتياحه لسوريا حتى الفرات وأن هناك وثيقة هامة تثبت اشتراك الدولة المعينية واللحيانية مع البطالمة ضد السلوقيين. وذلك فى موقعه رفح عام

---

(١) كان هذا الميناء يعرف فى ذلك الوقت باسم أفروديت، ولم يتخذ الاسم إلا فى عصر الرومان. ويعكس هذا التغيير حرص الرومان على محو كل شيء يذكرهم بحكم البطالمة لمصر، ومن بين ذلك تغير أسماء الموانىء.

٢١٧ق م، وهذه الوثيقة تعود إلى حكم الملك أ ب يدع يثع ملك معين مصران[1] غير أن انتصار بطليموس الرابع في رفح عام ٢١٧ ق م، كان نقطة تحول في تاريخ حكم مصر البطلمية، فمن جهة أخذت أوضاعهم الداخلية تتزعزع نتيجة المعارضة، ومن جهة أخرى نتيجة ضغط السلوقيين من الخارج على البطالمة خلال القرن الثاني ق م وخاصة بعد أن إنفصلت فارس والعراق عن الدولة السلوقية وقيام دولة الفرثيين، حيث أخذت هذه الدولة تضغط على الدولة السلوقية من الشرق، مما أدى إلى ضعف سيطرة الدولة السلوقية على المناطق الشرقية التجارية، من هنا بدأ إهتمامهم يتركز على المسالك الغربية، الحجاز، سيناء، مما جعلهم يصطدمون بالبطالمة، في حين كانت المهمة من جانب السلوقيين يتولاها حلفاؤهم الأنباط الذين دافعوا ضد تواجد النفوذ البطلمي بالمنطقة بدعم من دولة السلوقيين عندما كانت هذه الأخيرة منشغلة بالخليج، ويقول بعض الباحثين أن اهتمام السلوقيين بالمسالك الغربية أدى إلى وقوع خلاف بينهم وبين حلفائهم الأنباط فيما بعد، ومن هنا اتجه الأنباط إلى التعاون مع دولةالرومان خلال القرن الأول ق م، ويغرونها بالوصول إلى الشرق الأدنى حتى تقضي على الدولتين المتصارعتين السلوقية والبطلمية.

وبحلول القرن الثاني قبل الميلاد تضعف علاقة مصر بشبه الجزيرة العربية أمام ظهور قوة السلوقيين، حيث تفقد مصر جوف سوريا بعد معركة بانيون (PANEINON) قرب الأردن عام ٢٠٠ ق م وضاعت من أيدي البطالمة الطريق البرى الذى كان يربط الدلتا بالحجاز، كما أن مينائهم عند خليج العقبة بيرنيكي، بالقرب من إيلات نافسه ميناء الأنباط النشط إلانا (إيلات

(١) PERENNE (J), " Paleographie des Inscriptions Sud Arabe ".

الحالي). وبانتصار السلوقيين وحلفائهم من العرب الجنوبيين تأثرت موانيء مصر على البحر الأحمر، حيث تحولت تارة الهند والجنوب العربي إلى الطريق المحاذي للشاطيء البحر الأحمر الشرقي الممتد من ميناء لويكي كومي النبطي، ومنه إلي البتراء ومنها إلى الساحل السوري لهذا ركزت مصر على البحر الأحمر رغم ضعفها، وتزايد النفوذ الروماني تدريجيا في مصر بقصد احتلالها ومحاولة كشف شواطيء البحر الأحمر وبلدانه الجنوبية إضافة إلى فقدان البطالمة الروح العسكرية التوسعية القديمة حيث تحولوا منذ بطليموس الخامس إلى التجارة فقط في البحر الأحمر خاصة. وإرسال البعثات الاستكشافية نحو شطوطه الجنوبية حيث ازدهرت العلاقات التجارية مع بلدان جنوب البحر الأحمر العربية، إذ بدأ تجار الاسكندرية الوصول إلى ساحل حضرموت الغني باللادن والبخور[1].

ويلاحظ أن البطالمة في عهدهم المتأخر (١٤٦ - ١٠٠ ق م) قد بدأوا في إرسال البعثات الإستكشافيّة بغية السيطرة على التجارة والمتاجر العابرة للمحيط الهندي والبحر الأحمر، حيث أرسل بطليموس بعثة بقيادة يودوكسوس (EUDOXOS) حوالي ١٤٦ ق م في مهمة لاستكشاف الطريق الملاحي عبر عدن إلى شبه القارة الهندية لكسر احتكار السبئيين لهذه الطريق، خاصة وأن دولة سبأ كانت أخذت في التدهور والضعف خلال هذه الفترة، حيث وصل هذا البحار إلى الهند بمساعدة بحار هندي، وحسب روايات إسترابون نقلا عن بوسيدونيوس (POSEIDONIUS) فإن قائد البعثة (يودوكسوس) قد عاد من الهند وسفينته محملة بالتوابل والعطور والأحجار

---

(1) Tarn and Griffith. " Hellenistic Civilization ".

الكريمة، فسلبه بطليموس هذه الهدايا ونفس الشيء فعلته معه أرملته الثالثة بعد رحلته الموالية، فكان في رحلته الثالثة أن حاول تفادى المرور في البحر الأحمر، لكنه هلك أثناء هذه الرحلة وحرمنا من مذكراته وملاحظاته التي دونها عن شعوب بلدان البحر الأحمر[1].

لكن بعد سقوط دولة سبأ عام ١١٥ ق م والتى كانت معادية للبطالمة، حل محلها ملوك حمير الذين تلقبوا باسم ملوك حمير وذى ريدان، حيث أنهوا سيطرة حضرموت على البحر الأحمر (جنوبه)، ويرى بعض المؤرخين أن ملوك حمير كانوا أكثر ميلاً للتعامل مع مصر البطلمية، وهذا مامنحهم فرصة للتوسع جنوباً بعد أن زالت العوائق أمام النفوذ البطلمى، ويفسر أحد الباحثين عودة النفوذ المصرى، أن الإطاحة بمملكة سبأ على أيدى حمير، والإطاحة المماثلة بملك حبشت في حضرموت يعكس عودة النفوذ البطلمى المصرى إلى جنوب البحر الأحمر بعد فترة انحسار طويلة نتيجة الهزيمة التى تلقاها البطالمة في شمال الحجاز على أيدى الأنباط المدعومين من قبل السلوقيين. ولا يستبعد نفس الباحث أن يكون هذا التغيير السياسى قد تم بتدخل البطالمة، معتمداً في ذلك على صداقة حميمة بين ملوك حمير وملوك البطالمة، وأيضاً من نتائج هذا التدخل البطلمى هجرة حبشت بعد زوال ملكها إلى بلاد أكسوم (الحبشة)، وربما مايؤكد ذلك أيضا هو أن الرومان عند قضائهم على البطالمة في مصر سارعوا بارسال حملة لاسقاط حكم الحميريين.

---

(٢) Cary (m) and Warmington (e.h.). " The Ancient Explores ".

وفى القرن الأخير قبل الميلادى إزداد النفوذ الرومانى فى مصر نتيجة ضعف الحكم البطلمى، وإفلاس سياسته الاقتصادية وتزايد المقاومة الوطنية بقيادة الكهنة، وبدأت تجرد مصر من مملكتها الخارجية، ففى عام ٩٦م ق م فقدت برقة، وفى عام ٥٨ ق م فقدت قبرص كقاعدة بحرية، وبعد سقوط الدولة السلوقية على أيدى الرومان وضم سوريا إلى الامبراطورية عام ٦٤ ق م اختلت موازين القوى بالبحر الأحمر، حيث انتشرت القرصنة به وعاود الأنباط مهاجمتهم للسفن المصرية التى لم تعد قادرة على الذهاب إلى فى حراسة السفن العربية وبالتالى لم تتجاوز حدود البحر الأحمر، حيث أصبحت الرحلات المصرية محفوفة بالمخاطر، وكان لهذا الوضع أن أنحسر النفوذ المصرى فى شمال غرب شبه الجزيرة وساحل البحر الأحمر، وهذا فى الوقت الذى ازداد فيه نفوذ الأنباط منذ عهد ملكهم أريطاس (الحارث) الثالث، وسيطروا سيطرة إقتصادية تامة على المدن العربية الهامة، مثل تيماء والحجر (مدائن صالح) اللتين لا تبعدان كثيرا عن حليفة مصر قديما وهى ديدان، وأصبحت الحجر وميناؤها إجرا (الوجه الحالى) قاعدة للإنطلاق التوسعى للإنباط، الذين لا يستبعد تحريضهم للرومان على فتح مصر بغية الإنفراد بالتجارة فى البحر الأحمر، ومن أجل ذلك حرضوا الرومان لإسقاط حكم الحميريين فى اليمن بل وشاركوا فى الحملة الرومانية الفاشلة عام ٢٤ ق م[1].

ولما بدأت الامبراطورية الرومانية منذ أواخر القرن الثالث الميلادى تعانى من الفوضى السياسية والتدهور الاقتصادى والضعف العسكرى، بسبب هجوم البرابرة عليها، خفت قبضتها على المشرق العربى، مما ساعد على عودة

---

(١) سيد أحمد على الناصرى، " الروم والمشرق العربى

الحياة إلى الدولة الحميرية منذ عام ٣٠٠ م على يد شمريهرعش ٢٨٠–٣٠٠م. وهو الذى ذكره القرآن الكريم باسم التبع الأكبر، فقد نجح هذا الملك في القضاء على التفكك والانقسام فى الجنوب العربى واعادة توحيده تحت تاجه.

لكنه لم تمضى ثلاثون سنة على موت شمريهرعش حتى بدأت الدولة الحميرية فى الانهيار بسبب ضعف من خلفوه على العرش كذلك ضربة الرومان الاقتصادية للتجارة جنوب شبه الجزيرة قضت على أحلام تحقيق دولة قوية مثلما كانت دويلاتها القديمة، كذلك تبنى الامبراطور قسطنطين المسيحية ونقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية، حيث بدأت ملامح امبراطورية الروم الشرقية المسيحية تتبلور فى هذا الجزء من آسيا الصغرى وبدأت فى المطالبة بإرث الامبراطورية الرومانية ونفوذها التجارى بطريقة جديدة، وهى استخدام نشر المسيحية على المذهب الأريوسى، ولهذا كان من بين بنود الاتفاق المبرم بين جاستنيان والأحباش هو قيام الحبشة بنشر المذهب الأريوسى فى جنوب الجزيرة، ووقف موجة التهويد واسقاط الدولة الحميرية، وتطويق الدولة الفارسية فى جنوب البحر الأحمر، وهذا الاتفاق جاء بعد فشل جستين الأول (٥١٨ - ٥٢٧ م) فى إقناع التبع ملك حمير لكى يدخل فى حلف الروم لمنع وصول الفرس إلى المنطقة، وكان لحادثة الأخدود – ٥٢٣م – أن أحال جستين الأمر على الأحباش الذين غزوا اليمن، وأسقطوا الدولة الحميرية، غير أن إنهيار سد مأرب غير كثيرا من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسكانية بالمنطقة، زيادة على الوجود الحبشى حيث انتقلت الحضارة العربية القديمة من الجنوب إلى مدن الحجاز خاصة مكة والطائف، حيث أصبح الحجاز يمثل ثقل تجارى كبير، وفى هذا الوقت أخذ نفوذ الروم ينحسر جنوبا أمام الفرس.

إضافة إلى ظهور الدعوة الاسلامية على يد محمد صلى الله عليه وسلم في الحجاز عام ٦١٤ م حيث بدأ في إقامة أركان الدولة العربية الإسلامية بعد هجرته من مكة إلى المدينة ٦٢٢م، حيث حدث صدام أول مع الروم ٦٢٩م وذلك في موقع مؤتة، وفي سنة ٦٣٠ فتح الرسول الكريم (صلعم) مكة وهكذا بدأ نجم إمبراطورية الروم يذبل خاصة بعد فتح عمر بن العاص لمصر سنة ٦٤١م.

ومن هنا يتضح وأن العلاقات المصرية العربية وخاصة مع جنوب شبه الجزيرة إتخذت أشكالاً متعددة وفقا للظروف الدولية من جهة وحسب مقتضيات المصالح من جهة أخرى، وإن سعى كل طرف في ظروفه المناسبة إلى محاولة فرض سيطرته على الآخر أو أن يتخذ شكلا من أشكال الوصاية. والاحتكار في خلال هذه الفترة من العلاقات السياسية الاقتصادية والثقافية. فأن العامل البشرى والحضارى كان يلعب دوره في قولبة التركيبة البشرية مستقبلاً، بحيث انصهرت المجموعات البشرية بالمنطقتين في المحيط السامي وأضفى عليها الاسلام بعد جديداً.

الخـاتمــة

نود فى هذه الخاتمـة أن نستعرض جملـة من الملاحظات حـول تـاريخ جنوب شبه الجزيرة العربية وافريقيا الشرقية نرى أنها جد ضرورية:

• إن المتـأمل لمصـادر تاريخ جنـوب شبه الجزيـرة العربيـة والشرق الإفريقـى يلاحـظ احتكـار المستشرقين لوقـت طويـل كتابـة تـاريخ المنطقـة موضـع الدراسة، رغم أخطائهم الكبيرة حيث أنهم – أغلبهم – كتبـوا وهـم متأثرين بشدة بحرفيـة نصوص التـوراة، خاصـة فيمـا يتصل بتاريخ العرب والأفارقة القدماء لهذا حولوا الكثير من الأحداث والحقائق الواضحة لكـى يتماشـى ذلك التفسير مع ماورد فـى نصـوص التـوراة، بالمقابل فإنهم قلما يرجعـون إلى القرآن الكريم الذى هـو أدق المصـادر وأكثرهـا معرفـة بـأحوال العرب فى جاهليتهم، ناهيك عن أنه مصدر ربانى لم يتعرض لأقلام البشـر، وصـدق الله العظيم فى قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وكذلك فإن هؤلاء المستشرقين قلما يرجعون إلى كتب التراث العربى، أو إلى كنـوز الشعر الجاهلى، لاستخراج معلومات تساعدهم على استكشاف تاريخ العـرب القديم، ويفضلون عليها المصـادر الإغريقية والرومانيـة، والتـى رغـم أهميتهـا المعترف بها، إلا أنها هى الأخرى وكما ثبت من الدراسات الحديثة أنها لـم تفهم تراث الشرق الذى كان فى نظرها غريبا وأسطورياً، وهذا مـايتضح من كتابات هيرودوت عن شبه جزيرة العرب، أو كتب لأهداف سياسية كمـا هـو الحـال فـى النصـوص الرومانيـة، ومـن هنـا يجـب ألا نأخذهـا أخـذ الإيمـان الكامل بصحتها، وبناءاً على ذلـك نرجـح وجهـة النظر القائلة بوضـع منهـج

عربى لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلامى على أساس إعادة ترتيب المصادر التى يجب أن يكون فى مقدمتها القرآن الكريم والحديث الشريف يليهما النقوش العربية القديمة، ومكتشفات الآثار ثم يلى ذلك التوراة ونصوص الكتاب الإغريق والرومان. والهدف من ذلك تحرير تاريخ المنطقة من احتكار مفسرى التوراة، ومن هيمنة العقل الأوروبى الذى يجب ان ننظر إليه بمثل هذه القداسة لأنه أيضا يخطىء ويسيىء الفهم.

- صعوبة البحث فى تاريخ جنوب شبه الجزيرة القديم وذلك نظراً لنوعية وطبيعة المصادر، من ذلك عدم إكتشاف كل النقوش الخاصة بهذه الفترة. كذلك عدم ترجمة النقوش الموجودة بالرغم من جهود أساتذة جامعة صنعاء ومركز البحوث والدراسات اليمنى، وعلى رأسهم الدكتور مطهر على الأريانى ويوسف محمد عبدالله، عبدالله حسن الشيبه. ولهذا لا زالت الكثير من النقوش تنتظر من يدرسها ويشرحها، كذلك قلة النقوش التاريخية فأطول نقش فى كتاب الدكتور أحمد فخرى عن رحلاته الأثرية إلى مأرب المنشور بالقاهرة عام ١٩٥١م، هذا النقش يتعلق بأخبار سبأ وحروب ملوكها (كرب إيل وتر) فمعظم النقوش لأشياء شخصية وعدد منها خاص بإصلاح السدود والرى وتنظيم الضرائب والزراعة وغيرها، ومايزيد من صعوبة معرفة الأخبار وترتيبها هو تجاهل هذه النقوش لذكر التواريخ التى كتبت فيها. حيث وجد المؤرخون صعوبة كبيرة فى تحديد بدايات الدول اليمنية ونهايتها، وكذا ترتيب سنى ملوكها إضافة إلى ندرة التنقيب عن الآثار فى المنطقة.

• الملاحظ أن تاريخ افريقيا القديم لم يحضى باهتمام من قبل المؤرخين، الاهتمام الذى يليق بقارة من ثلاث قارات أقدم ماعرف العالم القديم، فقد غطى تاريخ الاستعمار الأوروبى الحديث على تاريخها القديم، لدرجة تعطى الايحاء بأن تاريخ هذه القارة يبدأ مع وصول هذا الاستعمار، ولعل سبب ذلك هو ارتباط تاريخ القارة الحضارى مع تاريخ العرب القديم، ومن هنا فتاريخ الشرق الافريقى لم يجذب إليه المؤرخين والباحثين إلا فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى، حيث ظهرت دراسات بشكل منظم فى أوروبا للتاريخ الحبشى، أما المصادر العربية فإنها فقيرة جداً فيما يخص التاريخ الحبشى، إنها بعيدة عن أن تقربنا إلى الحقيقة التاريخية عن غيرها من المصادر التى نملكها ، إضافة إلى توقف التنقيبات الأثرية إن لم نقل إنعدامها (وذلك نظراً للظروف التى تمر بها المنطقة) وبالتالى ليست بحوزة الباحثين نقوش جديدة والتى بامكانها دفع حركة كتابة التاريخ الحبشى أكثر نحو الأمام.

لقد عرف عرب جنوب شبه الجزيرة العربية طريقهم إلى شرق افريقيا منذ الألف الأول ق م، إذ لم يكن البحر الأحمر عائقا لاتصال جنوب شبه الجزيرة بسواحل شرق افريقيا، إذ لا يزيد اتساع هذا البحر على المائة والعشرين ميلاً عند السودان، ويصبح ضيقاً جذاً عند باب المندب، فضلاً عن وجود جزيرة سوقطرة التى لعبت دور الجسر بين جنوب الجزيرة وسواحل افريقيا الشرقية، مما سهل على السلالات العربية أن تعبر البحر الأحمر نحو الشرق الافريقى، بل ونحو داخل القارة الافريقية طلبا للرزق والتجارة. وكانت أقدم القبائل العربية هجرة إلى إفريقيا الشرقية هى قبيلة (حبشت) والتى منها أخذت الحبشة إسمها العربى وإسمها الأوروبى (ABYSSINIA)

ويرجح أن هجرة هذه القبيلة تمت حوالي عام ١٠٠٠ ق م على عهد الدولة المعينية والتي كانت على علاقة ممتازة بمصر الفرعونية، كذلك فإن قبيلة المعافير (MAPHARETES) التي كانت تسكن جنوب تهاما يذكرها صاحب كتاب الطواف حول البحر الأحمر أنها كانت تحكم الساحل الافريقي بنوع من الحق القديم، أي أن نفوذها كان قديما بالمنطقة. وهذا يؤكد ازدياد النفوذ العربي بعد سقوط دولة البطالمة، على الساحل الإفريقي الشرقي، وخلال القرنين السابقين للإسلام عبر عدد من الحميريين مضيق باب المندب، نحو الساحل الشرقي الإفريقي، بل حتى مقديشو التي كانت تعرف قديما باسم (حمر) نسبة إلى قبائل حمير، كذلك تعد قبيلة بلي القحطانية أكثر انتشارا بعد إنهيار سد مأرب، كذلك قبيلة سهرت (سحرت) التي كانت تسكن على رأس مضيق باب المندب في منطقة (مخا الحالية) إضافة إلى قبيلة الأجاعز التي تعد من أقدم القبائل العربية الجنوبية حيث كان موطنها على الساحل بين صنعاء وعدن، وفرضت على الأحباش اللغة الجعزية، من هنا يتبين أن هجرات عرب الجنوب إلى شرق إفريقيا كانت منذ القديم إذ كانوا يجدون في هذه السواحل ملجأ يفرون إليه، سواء بسبب الحياة القاسية أو الصراع القبلي أو بسبب الكوارث الطبيعية كالجفاف وتهدم سد مأرب أو بسبب الصراع الديني.

يلاحظ التداخل الكبير بين الوجود المصرى في الشرق الافريقي مع الوجود العرب، في الوقت الذى بدأت فيه الممالك الجنوبية تنشط سياسيا وتزدهر تجاريا، كانت أيام الامبراطورية المصرية (الفرعونية) قد ولت وانهارت البحرية المصرية في البحر الأحمر، مما أطلق العنان لعرب جنوب شبه الجزيرة لجنى الثمار التى زرعها المصريون في شرق إفريقيا، والتوسع

فيها، وملىء الفراغ الناتج عن غياب القوة المصرية فى البحر الأحمر وبالتالى ورث عرب الجنوب رسالة مصر فى تطوير شرق إفريقيا ثقافة وعنصراً، وأقاموا نظاما تجاريا وتنظيما تعامليا فقد نجح السبئيون فى تكوين أسطول بحرى تجارى، وتفوقوا فى فن الملاحة، وازدهرت موانؤهم، وعرف السبئيون مواقيت واتجاهات الرياح الموسمية، واستفادوا من ذلك فى الإبحار بسفنهم على طول سواحل شرق افريقيا، وجزر البحر الأحمر، ووصلوا حتى رأس ديلجادو و زنزبار، لكنهم إهتموا بمنطقة الساحل الإفريقى المواجهة لبلادهم وكان من عوامل تفوقهم على المصريين فى الانتشار فى شرق افريقيا، تشابه الظروف المناخية والبيئية بين السواحل الجنوبية العربية، وسواحل افريقيا الشرقية، وهى ميزة جعلت توسع عرب الجنوب فى افريقيا أكثر نجاحاً وأكثر تفاعلاً وثباتاً من التوسع المصرى.

إنتهى بحمد الله وحسن عونه

المراجـــع

المراجع العربية

١.أحمدفخري: " اليمن ماضيها وحاضرها "، المكتبة اليمنية، ط ٢-١٩٨٨.

٢. أودولف إيرمان، هرمان رنكة: " مصر والحياة المصرية القديمة " (ترجمة عبدالمنعم أبو بكر ومحرم كمال)، مصر، بدون تاريخ.

٣. سبيتينو موسكاتي: " الحضارات السامية القديمة "، (ترجمة يعقوب بكر)، دار الرقي بيروت – ١٩٥٧.

٤. جواد علي: " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢-١٩٧٦.

٥. جورج فضلو حوراني: " العرب والملاحة في المحيط الهندي "، (ترجمة يعقوب بكر) – بدون تاريخ.

٦. دتليف نلسن: " التاريخ العربي القديم "، (ترجمة واستكمال فؤاد حسنين)، دار النهضة مصر – ١٩٥٨.

٧. هوبير ديشان: " الديانات في افريقيا السوداء "، (ترجمة أحمد صادق حمدي)، دار الألف كتاب – ١٩٥٦.

٨. حسن صالح شهاب: " أضواء على تاريخ اليمن البحري "، دار العودة بيروت – ١٩٨١.

٩. يوسف محمد عبدالله: " أوراق في تاريخ اليمن وآثاره "، مطبعة وزارة الاعلام والثقافة صنعاء – ١٩٨٥.

١٠. كمال مراد: " في بلاد النجاشي "، دار المعارف مصر – ١٩٤٩.

١١. لطفي عبدالوهاب يحي: " العرب في العصور القديمة "، دار المعرفة الاسكندرية – ١٩٨٦.

١٢. محمد أبوالمحاسن عصفور: " معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم "، دار النهضةالعربية – ١٩٨١.

١٣. محمد بيومي مهران: " تاريخ العرب القديم "، دار المعرفة الجامعيةالاسكندرية – ١٩٨١.

١٤. محمد يحي الحداد: " تاريخ اليمن السياسي "، ج١ ، منشورات المدينة، بيروت – ١٩٨٦.

١٥. مصطفى العبادي: " الامبارطورية الرومانية " دار النهضة العربية – ١٩٨١.

١٦. سيد أحمد علىالناصرى: " تاريخ الامبراطوريةالرومانية السياسى الاجتماعى " ، دار النهضة العربية مصر، القاهرة – ١٩٧٨.

١٧. سيد أحمد علىالناصرى: " البحر الأحمر في ا لتاريخ والسياسة الدولية المعاصرة "، (الرومان البحر الأحمر)، مطبعة الجبلاوى، مصر – ١٩٧٩.

١٨. سيد أحمد علىالناصرى: " المصريون والعرب وعلاقتهم بافريقيا فى العصور القديمة "، دار النهضة العربية، مصر – ١٩٩٠.

١٩.سيد أحمد على الناصرى: " الروم والمشرق العربى "، مطبعة جامعة القاهرة – ١٩٩٣.

٢٠.سير آلن جاردنر: " مصر الفراعنة "، (ترجمة مخائيل إبراهيم وعبدالمنعم أبو بكر)، الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٧٣.

٢١.عبدالله حسن الشيبه: " اليمن القديم وشرق افريقيا "، صنعاء – ١٩٩٠.

٢٢.إبن خلدون: " تاريخ ابن خلدون "، ج٢، بيروت – ١٩٧١.

٢٣.أمين مدنى: " التاريخ العربى وبدايته "، دار تهاما للنشر، المملكة السعودية – ١٩٨١.

٢٤.أرنولد توينبى: " تاريخ البشرية "، ج٢، (ترجمة نيقولا زيادة)، المطبعة الأهلية – ١٩٨١.

٢٥.برستيد: " انتصار الحضارة "، (ترجمة أحمد فخرى)، القاهرة – ١٩٥٥.

٢٦.جلال يحيى ومحمد نظير مهنا: " مشكلات الأقليات فى الوطن العربى دار المعارف – ١٩٨٠.

٢٧.حسن الحاج حسن: " حضارة العرب فى عصر الجاهلية "، المؤسسة الجامعية لبنان – ١٩٨٤.

٢٨.محمد السيد غلاب: " تطور الجنس البشرى "، القاهرة – ١٩٦٣.

٢٩.محمد السيد غلاب: " الجغرافية – عصر ماقبل التاريخ وفجره "، القاهرة – ١٩٨٦.

٣٠.محمد عبدالله النقيرة: "انتشار الاسلام فى شرق افريقيا ومناهضة الغرب له"، دار المريخ، العربية السعودية – ١٩٨٢.

٣١.مصطفى أبو ضيف احمد: " دراسات فى تاريخ العرب "، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية – ١٩٨٣.

٣٢.سيد عبدالعزيز سالم: " دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام "، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية – ١٩٨١.

٣٣.سعد زغلول عبدالحميد: " تاريخ العرب قبل الاسلام " ، دار النهضة العربية بيروت – ١٩٧٦.

٣٤.عبدالفتاح محمد وهيبة: " الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق " دار النهضة العربية، بيروت – ١٩٨٠.

٣٥.توفيق برو: " التاريخ العربى القديم "، دار الفكر دمشق – ١٩٨٤

المراجع الأجنبية

١. ABBA TEKLE, HAIMANOT: "Histoire de l'Empire d'Ethiopie et la Mission Catholique au XIX" (Manuscrit), Trad: France-lille, ١٩١٤.

٢. ABBADIE (ANTOINED): "Catalogue Raisonne des Manuscrits Ethiopiens", Paris - ١٨٥٩.

٣. ARKELL (A.J.): " A history of the Sudan from the Earliest Times to A.D. ١٨٢١", London - ١٩٥٥.

٤. AHMED FAKHRY: "Archeological Journeys to Yemen", Vol.I, Cairo - ١٩٥٢.

٥. AZAIS (R.P.), VHAMBORD (R): "Cinq annees de Recherches Archeologiaue on ethiopie", ١٩٣١.

٦. BENT (J.T): " Sacred City of the Ethiopians", London - ١٨٧٣.

٧. BASIL DAVIDSON: "L'Afrique Ancienne", TII, Collection Maspero. Paris - ١٩٧٨.

٨. BALL (J): "Egypt in the Classical Geographers", Cairo - ١٩٤٢.

٩. COUBLEAUX (J.B.): "Histoire politique et religieuse d'abyssinie". ed geuthner, paris - ١٩٢٠.

١٠.DRIOTON (V): " L'Egypte (les Peuples de L'orient mediterrancen) TII. Paris - ١٩٣٦.

١١.GARDINER (A.H.): " Egypt of the Pharaohs ", London - ١٩٦١.

١٢.GEORGE (F.H.): " Catalogue of the greek Coins of Arabia Misopotamia and Persia", London - ١٩٢٢.

١٣.HYBROCK (A): "The Red Sea", Institute of Petroleum, London - ١٩٥٦.

١٤.LEBARON BOWEN: " Irrigation in Ancient Archeological Discoveries in South Arabia", Baltimore - ١٩٥٨.

١٥.MICHAEAL (M.H.): "A History of the Arabs in the Sudan", Vol I London - ١٩٢٢.

١٦.PHILIP (K.H.): "History of the Arabs", London - ١٩٥١.

١٧.PETRIE (M.F.): " Researches in Sinal ", - ١٩٥٠.

١٨.PERHAM (M), AND SIMMON (J): " African Discovery and Anthropology of Exploration", London - ١٩٢٧.

١٩.R.DUSSAUD: " Penetration des Arabes en Syrie ". Paris - ١٩٥٥.

٢٠.RYCKMANNS: " L'institution Monarchique en Arabie avant L'Islam". Louvain - ١٩٥١.

٢١.SIR WALLIS SPENCER BUDGE: " A History of Ethiopia ", Vol I. London - ١٩٢٨.

٢٢.TARN AND GRIFFITH: " Hellenistic Civilisation ". Paper Book - ١٩٥٢.

الفهرست

الموضـــوع	الصفحة
- مقدمة	٥
[١] علاقة مصر بشرق إفريقيا (الحبشة)	٨-٧١
• تمهيد	٨
• افريقيا الشرقية أرضاً وطبيعة	١٠
• أسباب اهتمام مصر القديمة بالشرق الافريقى	١٥
• أهمية موقع مصر وحدودها القديمة	١٧
• النفوذ المصرى فى افريقيا الشرقية فى عهد الفراعنة	٢٢
• علاقات مصر بشرق افريقيا فى عهد حكم الأجانب	٤٣
[٢] علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)	٧٢-١١٣
• تمهيد	٧٢
• جنوب شبه الجزيرة العربية أرضا وطبيعة	٧٥
• علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية فى عهد الفراعنة	٨١
• علاقة مصر بجنوب شبه الجزيرة العربية أثناء حكم الأجانب	٩٢
- الخاتمة	١١٤
- المراجع	١١٩

رقم الايداع ٧١٢٤١ / ٩٦

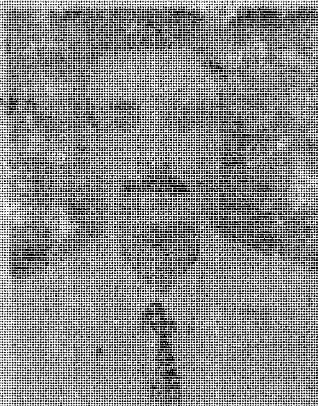
الترقيم الدولى : 2 - 22 - 5789 - 977

اسم الناشر : مكتبة زهراء الشرق

العنـــوان : ١١٦ شارع محمد فريد ـ القاهرة

تليفـــون : ٣٩٢٩١٩٢

الفاكســى : ٣٩٣٣٩٠٩





ياترى ما الدور الذي لعبته مصر في شرق إفريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية ؟

تساؤل هام ومثير ، إذا علمنا أن مصر كانت لها ظلال وتأثيرات على كل المنطقة المطلة على ضفتي البحر الأحمر، سواءاً كان ذلك بتأثيرها الحضاري أو بدورها السياسي والعسكري .

إن هذا الكلام ينطبق على فترة حكم الأسرات الفرعونية . كما ينطبق على فترة مجئ قوى أجنبية تحكمت في مصر .

ونقولها صراحة أنه لا يمكن في اعتقادنا أن يلغي كائن من كان الدور المصري في هاتين المنطقتين . وأنه مما لاشك فيه مصر بلد الحضارة والتاريخ قد كانت ولا زالت همزة وصل جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي .

المؤلف